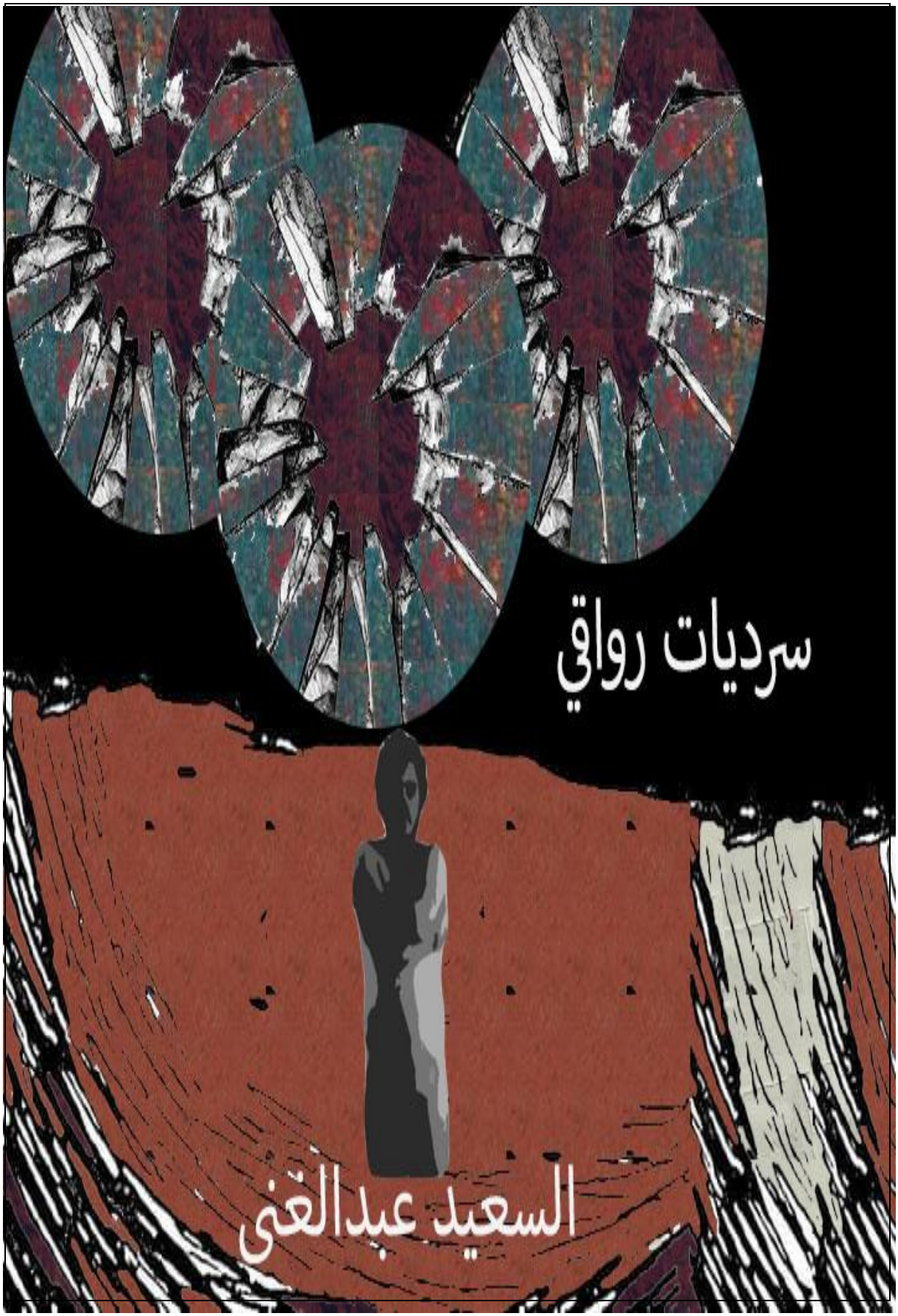
سرديات رواقي
السعيد عبدالغني

سرديات رُواقي

السعيد عبدالغني

(رواية)

إلى

نوال السعدون يوسف زيدان أحمد سعد زايد

في البدء كان الحد

وفي النهاية كان الشعر.

في البدء كانت المخيلة حرة من اللغة

لذلك كان كل شيء حرا.

شيئا أكبر من القصيدة يجب أن أفعله

أكبر من الانتحار

أكبر من المتخيل..

(1)

أكبت ذاتي عن الكتابة الفترة الاخيرة، المجاز يتشكل صوريا، المعنى يشطح في الروح، الوحي يتحرش باللوامس. أنظر للقلم على أنه أداة للممكن الذي لم أعد أؤمن به، كحيز لإشباعي.

وتستدعي الكتابة مرئيات الانفجار أو البراكين الافريقية، أو الجداول المسعورة، لا الهدوء والرعاية والاقواس الحامية.

الكتب متناثرة على السرير" مقال في فلسفة الدين، الزمان والأزل" "الإنسان الصرصار" و "التصوف والفلسفة" .. الخ والأدوية والكثير من الأقلام والأوراق وبعض الفرش.

كلها أدوات لخلق الممكن، القراءة أكثرهم، الكتابة أقربهم، والرسم أجملهم.

سيكولوجيتي مؤخرا غامضة، لست سعيدا ولست حزينا، أنا بين قطبي الشعور بمشاعر متداخلة مع مشاعر أخرى.

تبادلات بسبب ثنائي القطب بين أطراف الجهات، الذاكرة، المآلم والنشوات.

التسمية لما يحدث داخلي بمعاصرة الهواجس صعبة لأني مؤخرا لا أثق في اللغة. لا أثق في اللغة ككتابة بل كحديث، كوسيلة للتواصل مع الأشخاص.

أقراني الجدد سبينوزا وفتشتغتاين و ليفيناس مع أجمل من قرات لهم وأصدقائي الدائمين نيتشه باتاي أرتو أدونيس أدورنو سيلان هلدرلين...

الألم النفسي أو الجسدي يجعل الذات وحيدة، يعزلها ليس عزلا إراديا بل عزلا لغويا ووجدانيا، لا يمكن أن أنقل لك ألمي ولا يمكن أن تنقل لي ألمك، بينما يمكن أن أنقل لك أي فكرة. هذه الخصوصية للوجداني وعموميته أيضا، لأن جميع الناس تشعر بمشاعر أساسية مشتركة. لكن على حسب تجاربي تُزود المعرفة الألم لأنها تكشف الكثير من الأوهام حول الوجود، الكثير من الكرامة المزعومة للبشري.

الاشكال الميتافيزقية للتعزية صائتة لأنها تحتاج مجهود أكبر من التصديق. بينما المتألم فقد رابطته، أي فقد يقينه بمركزه نفسه، هذه الحالة مضنية شخصيا، منتجة أدبيا، ولا يمكن أن تُزَيف.

هناك أشخاص تُقاوم، وهذه المقاومة أيضا فعل ميتافيزيقي، لأني أؤمن في زمن ما سأكون أكثر صلابة، وهذا ما قصدت بالمعرفة وتذوقها، فالإيمان بزمن جديد حتى غير متوفر كون الآن لا يمكن الخروج منه. ومن هنا كان عدم إعطاء العهود، الخروج من العلاقات، عدم الوصل..

الألم لا يتم خلقه، الدرجة والكثافة كذلك، الأمر يعتمد على أكثر من علم سواء نفسي أو اجتماعي أو بيولوجي ..

ولا يوجد مقياسا للأمر عاما لكن بالنسبة لي، الشهيق أصبح مُملا والزفير أصبح عدما.

الألم لا يسمح لأشكال كثيرة بالحضور، في البدء يرفض الوهمي، الميتافيزقي، الايماني، الثوابت، متون المراجع، التأويلات، لأنها كلها أفعال لا تصل لوصفه. والمقدس غائر في الاندثار من شدة التعب.

أنا أشبهه الألم بكيان آخر يدمر كل ما عداه، بتفريقه عن حامله حتى، هو جزء منه، لكنه منفصل، أو امتداد لطاقة ظلامية، أو بوابة للكثير مما ينعته العالم بالكآبة، السوداوية..

إنه يضعني في مواجهة كل شيء ويجعلني أمضغ كل مكبوتي بلا رحمة وباستنزاف وبتسارع وسعار. فلا يمكن اقتصاد ذلك.

ثمة معارف لشعريتي خارج النص والحسي، معارف من التيه. من التقلبات بين المحدودية والمطلق كحالة نفسية، من الكثرة المتطرفة للمطروح الذي لا أعرف.

وهناك أوجه أخرى لمعارف التيه، وهي الشساعة النفسية لقبول ما هو خارج المنطق كمباحث لا كاعتقاد، من الأماكن الداكنة في الذات.

لطالما كانت هذه الأماكن مثيرة لأنها تفتح أبواب الفوضى.

الأقاصي التي لا اقتصاد في تشوفها وفي الأكل منها.

الأمر خارج الكتابة حتى يوجد في شخصيات أعرفها واقعيا أو قرات عنها.

التطرف بعد بشري لمن أكل خوفه.

وعلى حسب ضغط السؤال عن الهوية والتيه في الإجابة عنها، يتمثل هذا الألم الذي يتفشى بعد ذلك في كل التصورات والقيم والعلاقات تجاه العالم.

وأقصد النسبة في الاقتراب أو الشك في إجابة أو اجابات معينة فهذا مستوى أو الشك كشكل لا يثق في شيء.

يظن الإنسان دوما أن له قيمة، أن أحدا يكترث به مهما كثرت الشواهد لعكس ذلك، يفسر الاشياء لإعطاء قيمة له.

أظن أن هذه المركزية المظنونة آتية من الوعي، ومن خلال الشكل الثابت للكائنات الأخرى في الأفعال الواعية.

فالاسئلة عن المطلق أو أسمائه الله، أو الجوهر أو الماهيات هي أسئلة بلا أهمية. وما الذي أطرحه بأهمية؟

اللذة بالواقعي من خلال الجسدي أو الاناوي بمصطلحات مثل النجاح، الاحلام، الشهرة.. إلخ.

النظرة المتعسفة للجسد والمجرد، النظرة للجسد بهذه الأهمية القصوى وتجنيب المجرد وفي الحقيقة لا يوجد

فصل بينهما، فاللذة التي أشعر بها في أورجازم هي لذة عقلية، المخدرات تغير مود عقلي، وأيضا الجسد حامل هذه الكسارة التي تطحن المجردات، المعاني، الافكار، الصور، المجازات..

إنه عالم متداخل جدا، عالم يضم فيه عوالم، وعالم تضم عوالم...

إن ما يُحدِث التيه أحيانا، كثرة ما لا نعرف، ونرى إشارات له فتكون المعرفة لما لا نعرف كبيرة، وهذه المحدودية المؤمن بها بكثافة تجعل الإنسان لا يثق فيما يعرف أنه شكل من أشكال الحقيقة أو الأدرية، لكن هذا بسبب المعيار المطلق الذي يقيس عليه، وهو المعرفة الشاملة.

يحن دوما الإنسان إلى تكوين الألوهية المطروح بالقدرة الكلية والمعرفة الكلية.

المعيار الأقصى هو الوصول لآخر الحدود. وهذه الطريقة لها سببين الاول أن ذلك يفتح الدروب بلا نهاية ويفرد الحلم بلا نهاية

ثانيا أنه إن لم يتم استخدام الحلم باقتصاد يُجن صاحبه كما أشعر هذه الأيام.

يحتاج الإنسان لرعاية مجردة، لوصاية حتى لو ثار عليها، حتى لو خلقها ليثور عليها ويناجيها ويناديها ويصرخ في وجهها..

يحتاج أن يرى بسبب طبيعة المخيلة شكلا مفارقا، يتعدى وجوده أحيانا لخارج أبعاده كما عند الشيخ شمس.

حتى لو كان هذا الشكل غير ديني، بل في تطرف في شعور تجاه أحدهم، كره، محبة، الخ

إنه يثبت أنطولوجيا وابستمولوجيا بذلك.

كنت لا أفهم الإنسان عندما أجده لا يسأل أية أسئلة خاصة بوجوده، بماورائه، بحدوده الخ.

لذلك كنت كمن يدافع عن الأحقية في الجنون وبدأت بكتابة مقال عن جنون نيتشه من وجهة نظر باتاي.

****

كنت أكتب بتسارع وأضع المراجع، وتذكرت مرض أمي بالسرطان والذي أودى بها، كان سرطانا في المخ ولم يكن هناك علاجا نهائيا بل مجرد مسكنات. كنت أفرغ وجودي أو أنسخه على الأوراق. وبدأت بلا توقف في الكتابة.*

لم تكن هذه أول الآلآم الجوهرية ولكنها كانت أقساها، الألم من رحيل جدتي بديعة والألم الآن من رحيل أمي. والأمر ليس في الموت ذاته بل رحلة العذاب لأمي قبل وفاتها جعلني أتحرش بالكثير من الأسئلة والمفاهيم. الموت يعيد ترتيب الشغوف، الأسئلة، الإرادات.. إلخ.

رأيتها حتى ضمر جسدها وأصبحت ٤٠ كيلو وتقرحت من كل جسدها ونَهش الصمت لسانها لكنها لم تكن تقول إلا الحمد لله عندما كانت تستيقظ إلا قليلا.

واللغة للمُتألِم هي أداة مأساوية عليه. اللغة للمتألِم سهم في ظهره.

(٢)

لم أستطع احتمال ما شهدت في الكتابة، لم أستطع إلا الجري نحو الحضرة والترديد في رأسي

"لم أطف في الحضرة منذ مدة يا إلهي فاعذرني. لا أعلم لم أشك في الاشياء حولي جميعها ؟ مما سبب اضطرابا في رؤيتي لك والثقة بك ؟ إني أشك في كل شيء، أشك في ما تراه عيني وما يحدسه قلبي وأخاف من هذا الشك أن يؤدي بي إلى الكفر، هل ستحاسبني إن كنت أقتنع بأنك طيف ليس له متن موجود في أبعاد أو لاأبعاد ؟ لا أعلم يا إلهي الأسئلة فقط لدي وفي رأسي والهواجس المضنية القوية. اعذرني يا إلهي، أنا بشري خطاء ناقص مقيد، وأنت الكامل التام.

لا أعاملك كما يعامل المسلم شيخه ولا كما يعامل المسيحي قسه، أحبك ولو وهبتني نارك، أحبك بلا أي مصلحة. ولا أشكو لك أبي الذي يقول أنه عبدك الأنقى، فأنت أعلم.

أنت تعرف صمتي ولا أعرف لم كتبت كل هذا رغم أني لم أدعوك أبدا في حياتي. أليست كل لغة موجهة لك تهجو قدرتك العليمة على كل شيء؟

لم أكن ليس لانشغال دنيوي فأنت تعلم أني لا أهتم بالدنيا لكن لأني يخالطني شك فيك، شك في كنهك، وأن صوفيتي ذهبت لها خوفا من الجنون والعدمية. أنت تعلم كم اطلعت على الفلسفات وفي كل مرة كنت أزينك فوقها وفوق عقلي وفوق حسي وفوق حدسي لكن كل هذا لشعور ليس لسببية عقلية، لا أعلم هل اؤمن بعقلي أم أؤمن بقلبي وأيهما أستخدم في الاعتقاد؟ أعلم أن العقل قاصر لكن القلب قاصر أيضا وفي كل حياتي قلبي خانني كثيرا والتوفيق بينها صعب جدا.

الايمان بك صعب يا إلهي والكفر بك أصعب لكني لا أريد أن أؤمن أو أن أكفر لكي أحمي ذاتي، أريد فقط أن أطمئن إلى إيماني أو كفري.

وأنت تعلم صِدقي الذي دمر حياتي الواقعية، فالعالم لا يريده في أي شيء.

أفقد المعاني واحدا تلو الآخر، فقدت مع أمي معاني كثيرة ولا أقول لك ذلك لترممني بل لأنها تجربة قوية ونفاذه في رأيي.

المجاذيب يبهرونني في الثقة بالنور، في التخلي عن العقل بهذه الدرجة المطلقة، إني شككت من هذه الأمور ودخل سواد في قلبي.

إني أصدقهم يا إلهي، أصدق تجربتهم وربما هي التجربة الدينية الوحيدة التي أصدقها.

كنت أستخدم التفلسف لإدراكك ولتحميلك على كل الدلالات التي أراها. إني خائف يا إلهي أن أفقد كلي عبثا، صورتك كل شيء وخانني تصوري، ماذا أفعل؟

هذه الفترة أحياها بلا كآبة ولكن بتجرد شديد شعوري عن الاشياء والأشخاص وعدم حاجة للتعبير رغم أن هناك لغة في هاجسي منطوقة بخفوت ، وأفكر كثيرا في عدم الحديث المكرر منذ ولدت في فلك الظهور، حديثي الأنقى بلا صوت بلا مكتوب.

أقضي أياما لا ألفظ كلمة واحدة وأفقد في هذه الأثناء الجهات والروابط التي تصنعها اللغة.

هناك لغة بيني وبيني يا إلهي، لغة خارج المنطوق والمكتوب، كل اللغات التي بيني وبيني هي لغة خارجهم، وهم أيضا اللغات التي بيني وبينك. لغات جمالية يُولَد منها أشهى المعاني لي وأكثرها تجردها من مخلوقاتك جميعهم. لكني أفقدها هذه الأيام.

هل اللغة تؤخر إدراكي لك فقط أم أنها تساعد على ذلك؟ لقد تُهت جماليا كثيرا وبالغت في تيهي من كثرة

الأسئلة. أحلم أني أحضن مخالبا وسهاما لانهائية ودمي يروي الأرض.

كانت الطفولة أكثر الأوقات معاني، مجردات، الآن هي أكثر الأوقات عدوم.

كسّرت صليبي يا إلهي، ولم أنظر أعلاه، لا أحتاجه لأعيش.

غفرت لصالبيني لأني لا أكترث لهم وأقسمت بكفر حواريني بي علىّ بالرحيل. وأفرغت قلبي من العالم ومضيت خارجا فرحا ممددا على سماوات حزينة، أرفل خلقي براحة وسكون.

كنت ابن الأرض قوامي من طينها وعيني من عينها لكني الآن ابن الخارج الخارج المفتوح الذي ينتعش بحفري لاحتمالاته.

كنت ابن القبيلة ابن القافية حتى سكنني الشعر.

كنت ابن اللغة حتى سقطت في النور.

كنت أهرب من كوني ولم يكن يعجبني أي كون سوى هذه الأكوان التي ينعتها العالم بالغريبة. عوالم الجنون وعوالم العاهرات وعوالم المصحات النفسية. مللت من

العوالم العادية والروتينية والتقليدية التي لا يوجد بها شغوف لي.

فقابلت هذا الرجل المجنون الذي قال لي " ستُجَن" وصوب إصبعه نحوي "ستُجَن" وجرى بعيدا فرحا بشكل مبهر. و كعادتي اهتممت جدا بما يقوله، كون هذا أمر به شغف كبير بالنسبة لي.

عدت للبيت فرحا ولدي شعور غامض ناحية العالم، هل له نبوءة ورؤى؟ لا أعرف هؤلاء المجانين يشبهون شيوخي الذين في الكتب رغم أن شيوخي ينكرون جنونهم ويسمونهم بالوجد العظيم.

هذه أول مرة أرى هذا الرجل، أو أني رأيته مسبقا لكني لم أنتبه، كعادة المجانين لهم أمكنة يسيرون بها دوما ولا يخرجون منها.

لا أعرف هل هناك حد عقلي نصل إليه يُفقِدُنا عقلنا نفسه؟ أم أنه صب الذات في المتخَيّل؟

أُخلِصك من ذواتهم، من تصوراتهم عنك الجميلة والمأساوية، أحاول تجريدك تماما لبلور ملون."

(٣)

أنا من ريف يشبه العالم، ملىء بالكثير من السمات البشرية والمذاهب الفكرية والجندرية، والأديان المختلفة والتصورات والشخصيات التي يمكن أن تصلح للكثير من الأفلام والروايات والتحليل النفسي.

أبي شيخ من شيوخ السلفية، من عائلة متفرعة، أغلبها ينتمي إلى الدين كسياسة وكاستخدام لا كروحانية وذاتية. فهو لهم أداة للسيطرة وفرض الوصاية والأبعاد النفسية فيهم.

أبي يرتدي الجلابية القصيرة ويرتدي ذقنا طويلا، وله أصدقاء كثر أغلب خُطَاب المساجد بينما هو لم يكن يخطب. كان قد تأثر بالمد الوهابي في مصر بعد السبعينات وساعد الأمر فراغه الفكري والمعرفي. لم يكن يدري أي شيء خلاف التفاسير والأحاديث ولم يقرأ غيرهم واقتصر على تكفير كل من عادى ما دُلِق فيه.

من المسجد للبيت للاجتماعات السرية لهم، ولم تكن أمي راضية عن تلك الاجتماعات أبدا، ولكنه لم يكن يكترث إليها.

السلفية لها أنواع كثيرة و السلفية المصرية تحتوي على الكثير من الأنواع أيضا.

الأولى هي السلفية التقليدية، والتي تضم الجمعية الشرعية الكتاب والسنة و تأسست عام ١٩١٢ م. وجماعة أنصار السنة المحمدية، التي تأسست عام ١٩٢٦ وتبنت الفكر الوهابي السلفية والتي كان منها والد صديقي الذي كان شيخا لهم جميعا وابتعد عنهم وثار عليهم وقاومهم.

الفئة الثانية من السلفية التي ظهرت في السبعينيات هي الدعوة السلفية أو المدرسة السلفية بالإسكندرية والتي كان أبي منها و تتأثر هذه المدرسة بشكل كبير بالعقيدة الوهابية في المملكة العربية السعودية. وأنواع أخرى أكثر تطرفا.

كان يبيع الماء المقروء عليه ويُخرجِ الجن المزعوم من الملبوسين وكان ذك يحدث في بيتنا القديم ويحدث في بيتنا الجديد. كنت أضحك كثيرا على هذا وما أثاره ضدي مؤخرا كان أن أحدا أتى ولم يكن هو موجودا فأدخلته واستغرب من شكلي واستهجن بنظراته.

كنت أُسبِب له حرجا منذ كنت طفلا عندما كان يأخذني أو يُجبرني على الجلوس مع أصدقائه، والأسئلة التي كانت تُفتَح لها الأفمام ويعقبها عراك.

على المستوى الفكري كنت أتقبل نبذ أبي ونبذ المجتمع لكن على المستوى الشعوري لم أكن أتقبل الأمر، كانت المعالجات الشعورية صعبة جدا مع كثرة الحضون المفقودة.

كنت أقضي ساعات طوية في التفكير والحديث في رأسي.

هناك لحظة معرفية لكل مجتمع، هذه اللحظة المعرفية تتكون من كل المحركات الثقافية.

وهناك لحظة معرفية لكل شخص أيضا على حسب المعارف، التجارب، الاطلاع، التأمل.. الخ. اللحظة المعرفية لا يمكن قياسها بمعيار محدد، لو نزلت الآن مثلا في الشارع وقلت لأحد العابرين قولة للحلاج أو أي أحد آخر أو لي لن يفهم وممكن أن يقتلني أو يشمئز أو يضربني...

اللحظة المعرفية له ماضوية جدا، أبي له لحظة معرفية رغم الزمنية التي لديه في القرن الواحد والعشرين

ماضوية جدا ولحظتى مختلفة وأمي كانت لحظتها مختلفة لأن إنسانيتها مختلفة.

اللحظات المعرفية بين المجتمعات مختلفة وبين الأفراد لكن في المجتمع الواحد تقاس بأغلبية اللحظة المعرفية هذه.

القرية على عكس ما يعرف عنها أنها فقيرة معرفيا واختلافا، مليئة بما لا يمكن أن يُتصَور.

أجري نحو المسجد بعد أن ألبستني أمي الجلابية الصغيرة، لأذهب لابي الذي بعد صلاة العصر يجلس مع أصدقائه في المسجد أو خارجه على المصطبة التي تحل محل السوشيال ميديا في العالم المعاصر.

دخلت إلى المسجد مسرعا ولكني لم أنتبه إلى خلع شبشبي لأنه كان جدا وكنت اتباهى به، حتى استبشر أصدقاء أبي بي وقالوا: الشيخ الصغير، إلا أن واحدا انتبه الى شبشبي وقام ضربني على وجهي ولم يفعل أبي شيئا. استغربت من ذلك وبكيت وخرجت حتى أبي ينادي ويضحك.

الذي ضربني كان هو الإمام الذين يذعنون له جميعهم فقد فهمت بعد ذلك هذا.

الإمام هو الذي يعطي دروس لحفظ القرآن ولهذا استكرهت الأمر و أمي تستكرِهه لأنها لم تؤمن بجدوى حفظ طفل أي كتاب بدون فهمه بالبداهة.

تم عزلي لوقت كبير حدثت فيه مناوشات كثيرة، حرمني من طفولتي التي لم أستطع الاستدلال فيها على شيء، فقط أشعر مشاعر كريهة جدا.

وفي مرة ضربني الشيخ على وجهي لأني لم أحفظ المطلوب مني، حتى ضقت ذرعا فجريت وأخذت مفتاح الباب ورميته.

وجاء لأبي في البيت يقول له ذلك، حتى ضربني وقال له: هات لك طفلا آخر، إن هذا الولد ملعون

ليست أول مناوشة فقد كنت كل يوم أسرق الخرطوم الأحمر الذي يأتي به ليضربنا حتى عرف.

و أراقبه عندما كان ينظر لجارة الغرفة التي كان يدرس فيها من الشباك، وأظل ألح عليه أن يبدأ الدرس عمدا

والذي زاد الأمر هو رؤية أخوالي وجدتي لأمي التي يمنعني عنها أبي فقد كنت أذهب إليها سرا.

صوفيون وهم من كانوا يُحضِّرون الحضرات في القرية، مما يستدعي شجارات بينهم وبين أصدقاء أبي وأبي في أحيان كثيرة، ولكنها توقفت بعد موت شيخهم جميعا، بحجة الكفر والابتداع والانحراف والخروج عن صحيح السنة والقرآن وأشياء كثيرة جدا.

لم يكن هذا أول موقف مع أبي بل كانت كرة القدم أيضا.

كنت ألعب كرة القدم منذ كنت صغيرا جدا، لم أكن على عكس ما يعتقد الآخرين متوحدا بشكل كبير.

على الرغم من كراهيتي الكثير من الأنظمة مثل المدرسة والأوامر البيتية.

كنت أقرأ أحيانا على الكمبيوتر الكبير الذي أحضره والدي وكان ذلك سنة ٢٠٠٤، ليسمع عليه القرآن الكريم ويستمع لشيوخه وللتباهي.

وفي المكتبات التي كان اشتراها من العراق بعد الحرب بعد عودته من السعودية. كانت مكونة من كتب الفتاوي لابن تيمية، وكتب ابن الجوزي، وسيديهات لشيوخ كثر تلاوات للقرآن.

ألعب كرة القدم في البيت طوال النهار تقريبا، ولا أدخل البيت إلا للأكل والنوم، مع أولاد عمومتي وأصدقاء الحارة وأصدقاء المدرسة.

الحارة كانت مسرحا يتضايق من لعبنا فيه الكائنات اللزجة التي لازالت ظلوا أشخاصا مقززين بالنسبة لي حتى خارج ما يفعلونه والتذمرات وإلقاء الماء فيها ولم تكن تدافع عنا إلا جدتي بديعة.

كنا نلعب قبل المدرسة وبعدها وقبل الدروس ونلعب في كل مكان فارغ في القرية، وننتقل من حيز لحيز اعتمادا على شكوى البيوت المجاورة.

كنت أجيد الكرة ولكني لم أكن أجيد الفوز، كنت أجيد المراوغة، وبشكل مكثف وطويل ولم أكن أهتم للفوز أو لا. وكان هذا يزعج الشركاء معي في الفريق لأني كنت أراوغ لفترة طويلة.

اشتريت منذ الطفولة حتى توقفي أكثر من ٣٠ كرة قدم بعضها ثقبت وبعضها تم أخذها من بعض رجال البيوت المجاورة وبعضها ضاعت في الأراضي الزراعية.

طفولة مُدوية، الدفء تزامن مع الشوارع، المعاني تزامنت مع المنافسة ولكنها توقفت عندما أقسم أبي عليّ وعلى أمي بعدم اللعب ثانية والاهتمام بدروس القرآن وحفظها حتى تم عزلي عن الأصدقاء الذين كانت ذروة اجتماعهم كرة القدم.

لكل شخص لاهوت فردي معقد ومركب ومتعدد الابعاد، ليس بالضرورة ذات متن ديني.

لكن الذي يجعل لاهوتي محتملا لك ولاهوتك محتملا لي هو الجمالية التي خارج الأفكار في كليهما ولكن أبي لم يكن يفهم ذلك أبدا.

(٤)

أنا العين الكبيرة التي ترى كل شيء ولا تتحدث، فقط تؤشر ولا تتدخل.

*

يبدو أننا جميعا رُواة لشيء نجهله.

هذا حديث المجنون في عقله في اللحظات التي يوجد بها لغة فيه.

"أنا مجنون، يسموني هكذا أو ينعتوني هكذا، كل الشارع يعرفني، البعض يحبني والبعض يخاف مني. أعرف الكثير عن كيفية سير الحياة في المجتمع ولذلك كانوا يخافون مني لأني أحيانا كانت تخرج مني كلمات حقيقية ضد سلطات أشخاص كثيرة مما كان يستدعيهم ضربي أو سبي أو حرماني من التجول في شوارعهم.

اسمي الحقيقي لا أتذكره ولكن لي أسماء كثيرة كل دلالتها خارج اللغة من عوالم الصمت. و كل سردي ربما حدث ولم لم يحدث.

كل ما أتذكره أو ربما يكون من خيالي هو أني كنت مدرسا للغة العربية، وكان لي أختا، أعمل في مدرسة بعيدة حتى طفر جنوني قليلا قليلا ، لا أعرف هل أنا من وجد في ذلك بُعدا لا يوجد في الحياة العادية أم أنه عطب عجيب في عقلي؟

لم أكن أحب حياتي الروتينية تلك، وكنت أريد تغييرها ولا أستطيع ولا أفهم ذلك من ذاتي أن كل هذا، كل ما فعلته كان من اختياري ولكني لن أدخل في المعضلات الإنسانية الفلسفية. إنها هذر عميق وأنا أريد تجربة الحياة في أقصى ممكنها للوجود.

هل يستطيع إنسانا أن يجنن نفسه، أن يفقد نفسه عقله ؟ أن يشكل لنفسه عالما من متخيلات ويحيا بها ويفقد حسه بالعالم الطبيعي أو هكذا يقولون عنه ؟ ولكني لا أعرف هل وصلت إلى ذلك إلى نهاية الجنون، لا أشعر بعد بالحرية الكاملة النفسية ؟.

أحيانا أمشي في الشوارع ومن كثرة عشقي للكائنات الشعرية من الطيوف للمرايا للظلال الخ كنت أرى كل شيء مرايا تعكس وأحيانا ظلالا وأحيانا طيوفا غريبة. لذلك كنت أحب الشعر لأنه يخلخل الحسي تماما و يتماشي مع جنوني.

كان هناك شاعرا في شارع بعيد، كنت أسمعه يقول شعرا وأمشي أكثر من نصف ساعة من السادسة حتى ألحظه يذهب لصديقه ويفتحون النافذة في الطابق الأرضي ويبدأون في الحديث وهذا كل خميس. لم أكن أتدخل في محادثاتهم فقط أجلس أستمع. أفرد جسدي الملعون حامل الفناء والزوال وعليه القماش المهترىء الذي أخذه من القمامات وأسند ظهري ومعي السجائر المتنوعة الأجناس من كل العابرين ومن يرضى أن يعطيني واحدة.

يوم الخميس الذي لا يجلسون فيه يكون جحيما باقي الاسبوع بالنسبة لي، وتشتد علي الهلاوس كأنها تكثر مع حالة اللاشعرية بجنس البشاعة هل توجد يوتوبيا سوداء؟ إنها التي أحياها.

تكون وطأة السخرية أشد حينها من الناس، هل أعود بعقلي بهذا الذي يحدث؟ جنني الشعر والآن يُعقلنني ،لا.. لا.. كنت أفكر في كلامهم كثيرا وأرد عليه في رأسي وأناقشهم ولكني ولا مرة تحدثت بشيء، لا أتذكر أني تحدثت منذ شهر ولا كلمة.

وقد عرفته من خلال حمله ديوانا لبودلير وكان وجه بودلير يظهر حتى تحول الشارع كله إلى وجهه في

عيني ولكني لم أستغرب من ذلك فقد كنت أرى أن الأبعاد النفسية موجودة في كل الناس وممكن تكون متحققة ولكن بدون أن يعبر عنها.

كان يقول قصائد له وكنت أنتشي ولاإراديا كنت أتماوج برأسي وأصرخ حتى عرفوا من صرختي مرة وهو يقول "الله جَرح التصور بالأنثوي".

وصديقه يقول: العالم بلا أنثوية بلا ألوهة مكشوفة أو منطوية ،الله خلق الأنثوي ليشف ألوهيته وذكوريته.

الشوارع مليئة وأفكر كم من المنشيات توجد خارج الغرفة التي عشت فيها الكثير من عمري. الجنون وآفاقه اللانهائية تريحني أكثر من المعارف والمنظومة والعلاقات.

لقد اكتفيت بالوحدة والجنون، كل مجنون وحيد هذه الوحدة التي لا يمكن أن تنحل لأي شيء. بعد أن سمعوا صراخي ظنوا أنها من آثار جنوني لا من آثار دلال الكلمة وحزنها لذلك لم ينتبهوا وكان ذلك قاسيا جدا. وتحدثوا بعدها على أنه يريد مدققا لغويا للديوان فقال له صديقه ليأتي به وسيبحث عن مدقق له.

انتظرت حتى الأسبوع القادم حتى أسمع هذا الديوان بالتأكيد سيقرأ له منه وبالتأكيد سأسمع عسلا جميلا على الأذن الضوضائية.

ذهبت لهم في الأسبوع الذي يليه كالعادة حتى قالوا لبعضهم أنهم سيخرجون ويأتون وسمعت أنه أعطاه الديوان، المخطوطة التي لديه وتركوا الشباك الذي أجلس تحته مواربا.

قلقت جدا من شريتي ورغبتي في سرقته وأخذه لأقرأه ولكني خفت من اضطرابي وجنوني أن أفعل به شيئا كأن أقطعه أو أرميه بدون أن أدري وكانت هذه أول مرة أخاف منذ مدة كبيرة ،هل يخاف من يجن؟

أخذته في النهاية وقرأته على مهل بمعن كبير وجلست أدققه لغويا وكنت أتذكر قليلا قليلا القواعد اللغوية والنحوية التي كانت من جملة القواعد والتنظيمات التي نسيتها. لم أكن استخدمت قلما منذ سنوات كثيرة، يدي كانت ترتعش عليه. ووضعت له ملاحظات على القصائد ووضعته في النهاية مكانه. ولم أعد ثانية للمكان هذا أبدا لا لشيء بل لأني قرأت في إحدى القصائد جملة كنت كتبتها بالضبط أول ما تركت عقلي وهي " تتسع الهوة بيني وبيني ويملأها المتخيل."

ولكني رأيته أمامي فجأة ولم أستطع كبت ما فيّ رغم أني لحظتها كنت بلا لغة فصوبت إصبعي له وقلت له "ستجن" وعدت لبيت مهدم ملىء بالقمامة لأبكي، كانت هذه أول مرة أبكي منذ سنوات رغم أني كنت حزينا فترات طويلة، فالجنون ليس نشوة دوما وربما هو خفوت اللغة نهائيا والاقتصار على دلالات بسيطة جدا."

(٥)

أجري بلا توقف بعد الطواف العنيف والذي يَعنُف أكثر كلما كنت عائز وتائه. عائز للمعاني والمشاعر وتائه بين الدروب أو زاهدا فيهم جميعا.

أغلقت عيني من مدة لا أعرفها وفتحتها فوجدت العالم كراكيب من نور، حتى مسكني أحدهم ولم أتبينه، وأقال لي بصوت خفيض" تعال، اغسل وجهك" عندها نظرت حولي وجدت الكثرين على الأرض مطروحين.

كنت في الحضرة التي تبعد عن بيتي ثلاث ساعات ولم أفكر في كيفية عودتي رغم أني أذهب إليها بهذا البعد لأسباب كثيرة منها أن أبي ضد صوفيتي، سلفيا يعتقد أنهم كفار وكانت صوفيتي ليست خاصة بدين ما بل إنها منزع إنساني قبل التدين كله. وهو لا يعرف ذلك لكي لا يزيد الطين بلة، رغم أني كنت أتشاجر مع شيوخي وكان الكثير منهم يتجنبني إلا أنه كان هناك من يقبلني .وطلب بعضهم عدم قدومي ثانية إليهم من الشيخ شمس الذي كان صديقي الوحيد هناك والذي يحترم أفكاري بلا نبذ.

وهو من أخذني وبدأ في الحديث

الشيخ شمس: لا ألومك على فنائك، لكن عد بكلك، لأنك هكذا ستفنى بعذاب كبير

أنا: لا أستطيع تسليم عقلي إلا للنور الذي لا يتعين، لا إلى الأرض وناسها

الشيخ شمس: منذ مدة كبيرة وأنت في هذه المتاهة، يجب أن تعبر ذلك، كلما طالت المدة كلما عمُق ألمك

أنا: سأحاول يا شيخ

الشيخ شمس: سآتي لأوصلك

أنا: لست خائفا

الشيخ شمس: أعلم أنك لست خائفا، لا يخاف حائز النور. فقط أريد استنشاق بعض الهواء

تضايق أبي وغضب لأن الصوفية كفار بالنسبة له وأيضا لأن سلوكي تغير من نواحي كثيرة أولها الزهد الشديد وعدم الاكتراث بأقوال المجتمع والأهل.

و كنت أكتب له ليست تبريرات للصوفية لكن آرائي وأضعها له في الأيام التي كنا لا نتكلم بها.

و هذه طريقة علمتها أمي لنا أنا وأبي لكي لا نتشاجر، فالكتابة تَوضَح فيها الأشياء أكثر من الحديث.

تركت له على المنضدة في نفس المكان الذي كنت أضع له ما أريد عندما كنت صغيرا وكانت أمي حية.

"

ثمة بعد لاعقلاني لأي إنسان يا أبي حتى وإن كان بُعدا ليس ميتافيزقيا لقلة الإدراك والعلم بالعالم بشكل كامل والبعد اللاعقلاني ذلك يتمثل في التخييل وفي السعادة أو الألم به على حسب الإدارة الذاتية للشخص للنشاط ذلك. جميع الناس لها قدر من الحياة في المتَخيَل ولها قدر من الإيمان بمتخَيلاتها الذاتية ومتخَيَلات الآخرين وهذه التخييلات وسيلة قوية للإدراك والمعرفة والسعادة وخلق السيناريوهات المختلفة التي يتحكم فيها الشخص بالكامل ويفرد فيها ما يتوق إليه ولا أقصد باللاعقلانية خطأها أو صوابها بل ما هو مضاد للمنطق.

لذلك أقسم اللاعقلانية ل :

١.جزء له بعد ديني، أي له اعتمادية على تصورات ماورائية خارجة عن الذات

٢.جزء وجودي له علاقة بالمجهول الذي يقع في إطار الذات ويمس مستقبلها أو ماضيها

المعتقدات اللاعقلانية

معنى الاعتقاد هو "المقصود بالأفكار والمعتقدات مجموعة من وجهات النظر والأفكار التي يتبناها الفرد عن نفسه وعن الآخرين ،والفرد عندما يواجه أي موقف أو حدث فإنه ينظر إليه ويتعامل معه وفق فلسفته العامة، فيشعر بالتهديد أو الطمأنينة، بالحب أو الكراهية، بالقلق أو الهدوء، بالإقبال أو الإحجام، حسب ما تمليه فلسفته العامة ووجهات نظره وتوقعاته عن الحياة وعن الاخرين"

المعتقدات اللاعقلانية يعرِفها ألبرت إليس بأنها "تلك المجموعة من الأفكار الخاطئة، وغير المنطقية، التي تتميز بعدم موضوعيتها والمبنية على توقعات وتعميمات خاطئة، وعلى مزيج من الظن ،والتنبؤ والمبالغة، والتهويل، بدرجة لا تتفق والإمكانات الفعلية للفرد"

من هذه المعتقدات اللاعقلانية هي الاعتقاد بكون الشخص إلها أو الترميز بلسان الإله وهذا يحدث في الشعر كثيرا بالتقمص لكائنات ميثولوجية أو كائنات

بشرية تراثية وذلك بسبب الوحدة النفسية فمن علامات الوحدة الخلق، من علامتها استخدام ذات أخرى للحديث، لسان اخر، لون، والوحدة التي تم المشي فيها لاخرها، توصل من هرم الوجود لعدمه.

فسيكولوجية الصوفي الذي له إنتاج لغوي والذي ليس له إنتاج لغوي غامضة لأن التجلى الذي يحدث لهم لا يمكن نقله باللغة كاملا ولا بالمجاورة وإن تم نقل جزءا زهيدا منه بالفعل فالسيكولوجية غائبة لأنه شيء ذاتي جدا فليس كل الصوفية خالقين أدبيا وشعريا.

من السهل تصنيف الأشخاص الذين يُرمِزوا لأنفسهم بالإله بلغة شعرية أو غيرها بالجنون أو الكفر أو أي تهمة تسد الفهم المنطقي للامعقوليتهم وتفريغ سيكولوجيتهم، ومن أسباب تلك التصانيف هو الحاجة للفهم السهل في المرضنة أو التكفير فأساس التصنيف حجب معقولية المصنَف لأنها تتماس مع تهديد لاعتقادات مَن صنفه وخصوصا في مجال التصنيف بالجنون والكفر.

ومن الصعب تخيل ما يجوز في نفس الشاعر بالنسبة إلى نفس بقية الناس."

كان هذا بعدما أحضرت كتب الحلاج وكتاب النفري المواقف والمخاطبات وتشاجرنا لأنه قال لي إنهم كفار وكتبت ما يشبه دراسة له رغم أنه قطع الورق ورأيت النثائر على المنضدة متقطع إلا أني أكملت الدراسة ووضعتها له. وكانت هذه أول مرة يُقطِع شيئا.

كان أبي متضايقا جدا لأن الأمر تعدى إلى الأفعال فطبيعتي أني أمارس سلوكيات تنبع عن أفكاري، فالأفكار ليست زينة بالنسبة لي.

عائلتي هي أكبر عائلة في القرية من حيث البناء الإجتماعي والكثرة والسلطة والنفوذ.

وكان ذلك يضغط على أبي وسطهم أني أصادق جميع الناس وأدخن المخدرات وأيضا أذهب للحضرة لأطوف أمام الجميع في القرية.

ولكني لم أكن مهتما بهذا البناء الاجتماعي والسلطة والنفوذ وقد كان ذلك مصدر إزعاج كبيرا لديهم.

سُمعَتهم كانت تسوء، وكان هذا كل ما يهمهم أما كُفرِي والجحيم المظنون لم تكن تخاف عليّ منه إلا أمي. لم أكن أصدِق أيا منهم في المحبة والاكتراث.

ذهبت إلى المقهى المعتاد في آخر جانب القرية ناحية الأراضي الزراعية، لأجلس مع أصدقائي الذين هم من عائلات أقل قوة اجتماعية بالنسبة إلى النظرة العامة للناس وحتى بالنسبة إليهم.

كنت أتصادق مع الجميع بلا أي حصر لأحد بسبب عائلة أو مال أو نفوذ أو سلطة. المقهى كان رديئا نجلس في الشارع أمام فرع النيل المشوب بكل ما يمكن أن يلوثه، المتدلي أمامنا، والبوص الذي يملأ الضفة.

كلمني أبي في الهاتف وقال لي أريد رؤيتك بصوت خشن قليلا فذهبت له بعدما أنهيت دور الشطرنج، لم أخاف من أبي ولكني أتجنبه وهذه أول مرة يحدثني بعد أسبوعين.

على علم أنه سيد البيت مهما تمردت فهناك واقعيات لا يجب إهمالها وإلا بت في الشارع كما فعلت سابقا.

لا أحبه. فقط هو أداة للمجتمع وللآخر دوما. دخلت منزلنا الواسع المبني على طراز حديث مع وجود بلكونة واسعة في بدايته لكي نستقبل فيها الناس التي تأتي طلبا لمعونة أو أصدقاء أبي.

جلسنا وحثني أبي على مصادقة أشخاص من عائلات أخرى ليس مَن أجلس معهم، لأنه على حسب قوله "الصغير يكبر ويجب أن تتعاضدوا دوما، القوة تلوذ بالقوة"

فقلت له بصوت رافض قليلا: حاضر أبي سأحاول

فقال بصوت رقيق: أنت ابني الوحيد ويجب أن تحمي عائلتك دوما بعدما أموت، وأنت تعرف السن لا يساعد لشيء ولا تدوم الحياة لأحد.

فقلت له: الله يطول في عمرك أبي

قال لي: ولا تقترب ثانية من الحضرة، أنت تعرف أنهم كفار، وأن هؤلاء الأشخاص في النار جميعهم.

وأنهم انحرفوا وآمنوا بالكثير من الحلول لوحدة الوجود.. إلخ

ولا تذهب يوم الخميس إلى صديقك المجنون الذي تذهب له، صديقك الذي كان أبوه آية مفارقة للسلفية وشيخنا جميعا.

فقلت (بكبت وضجر): حاضر أبي.

لست مهتما بهذه الأمور و أحاول إرضائه فقط بأقل قدر من خسارتي لحريتي.

رغم أني أجد في هذه العائلة العريقة أشكال مختلفة من السُلطة والعنصرية والتفاهة و الأناوية فلم يكونوا محبين لبعضهم من الأساس إلا في الظاهر.

ولم تكن عائلة أمي هكذا، كانوا معتدلين بشكل لا يضر أحدا ولا ينتمون لأحزاب سياسية مما أوقع أمي في وضع مقلِق.

بينما أنا لدي نقد ذاتي يطال أبعادي المجردة، يُفنيني ذهنيا في الألوان فقط، وأحيانا يعصُر العالم كله في صمت عميق.

فقد تعديت مرحلة رفض السلطة الواقعية بأنواعها إلى رفض ذاتي. وهذا الاغتراب حولني إن فتحت فمي إلى كائن مفارق.

هناك أشياء إن لمسها الإنسان فيه، إن وصل لها ذهب الشخص للغياب النهائي ولا تقوى أي محاولة لإعادته، منها التجريد حتى الوصول للعب في الحس ومنها إرادة التدمير المطلقة للذات ومنها الوجد لغائب.. وأنا

لدي هذه الأمور الثلاثة التجريد واللعب بالحس، والتدمير، والوجد لغائب.

ولذلك أهرب من هذه الأمور بالرياضة أو الجنس أو اللعب مع الآخر ألعاب نفسية.

سلوكي تغير فلقد بدأت الرقص كثيرا وبدأ عدم النوم في التأجج ثانية بعد مدة غير قصيرة.

وأصبحت أقل كلاما أكثر صمتا، أَنقى وجها للعارفين الوجدانيين ، أَكثر بشاعة وغرابة للعوام.

وبقيت فترة لا أخرج من البيت مُذعِنا مستكرِها بسبب أبي.

ولكني كنت أرقص هذا الرقص الطواف.

بدأ الرقص والطواف ليس النظري من الصوفية بعد الألم الفكري فذهبت صدفة إلى حضرة كانت في الشارع، استدعاني النغم من بعيد و"هيه" ولدي نسب نفسي من جدتي بديعة للرقص. وتسائلت بعدها هل أؤمن بالجمالية فقط من كل شيء؟

ولأني لا أعرف الذهاب للحضرة هذه الأيام، كنت أرقص على سطح بيتنا القديم كنوع من التداخل في

الفجر مع الانسحار اللوني والتزامن مع جمالية العالم في هذا الزمن على أنغام أوبرائية خفيضة لكي لا أوقظ أحدا وأتلاشى وأتلاشى عاريا بعد خلع كل ملابسي والتمتع ببرودة غير منظمة تؤثر على جسدي فيما بعد ولكني أكرر ذلك دوما.

لم أعد أكترث بالنعت بالجنون من الأشخاص حولي، بل شجعني ذلك وأعطاني حرية أكبر للأفعال.

بيتنا القديم محوريا في القرية، بيت عالي وضخم ولا نحيا فيه إلا أنا وأبي. لم يكن هناك متسعا مكانيا يسهو فيه الآخرين عني إلا في سطح البيت والمقهى الذي كان مكتظا دوما.

لم يكن هناك ضوء إلا ضوء شفيف للقمر وضوء المصباح الاصفر المقزز الذي كان هو الشيء اللاشاعري الوحيد في الحدث في الشارع.

وقلة الضوء ذاك كانت تصنع هالة من الغموض رب الولادات النادرة، وظِل بسيط لجسدي الحزين وهو يرقص ويفي بنذوره الشعرية.

هي امرأة بسيطة الملامح على قدر أكلي المسافة بيننا بعيوني، تمسح وجهها بعيدا في البيت القريب، والقمر يحرر عتمة الأرض وجسدها.

لم أكترث إلى نهاية التأمل في وجوه بعضنا وعيوننا ولا الهدوء العميق والطمأنينة إليها. لم أراها ولا مرة خارج الفجر وخارج زمنية رقصي رغم مروري من نفس الشارع الطويل لبيتها كثيرا ولم أخرج إلا لذلك، حتى ظننت أنها صنيعة مخيلتي البائسة ورؤى الدراويش الملعونة.

بسيطة فيما يبدو لا تفعل شيئا في حياتها أكبر من التمتع بجماليات الفجر ولكني لا أعرف شيئا عنها باطنيا، فكل إنسان مهما كان عاديا في الظاهر ممكن أن تكون لديه عوالم عظيمة في الداخل. فجدب الواقع ترويه حلوى المخيلة.

أراها من سطح بيتنا، بيتها كان بعيدا قليلا في الخلف أمام المسجد الرئيسي في المنطقة بينما أرقص خلسة قبل الشروق ولا أعلم هل تراني وأنا أرقص أم لا أو تلاحظني وأنا أراقبها.

ولكني في بعد عدة مرات وجدتها تنظر بوضوح إلى رقصي العاري.

أكبت وأكبت بلا حد هويتي ولكنها تخرج كشطحات في السكر أو في التحشيش لذلك أتحاشى الشرب مع أحد، رغم أن بعض المسكرات تحتاج المشاركة وبعضها الآخر لا ولكني لم أكن أشرب في هذه الأوقات لأن جماليات الالوان كانت تعادل نشوة أكبر مُنشي لدي.

التخبط اللوني والشكلي دوما يصنع مثل تلك الأشكال الهندسية وغير الهندسية في مرآي بلا أسباب سوى إمتاعي واستهلاك وقتي لقلة المثير حولي.

هاجسي فضاء لتلاشي أي حد وأي ثنائية. تطاحن من العوالم، عالما من عوالم المجانين وعالما من عوالم المرضى العقليين، وعالما من عوالم الآلهه .. شبكة كاملة من الممكنات المفتوحة بلا نهاية.

دوما نحتاج إلى طيوف بعيدة حتى لو كانت تهمل وجودنا درأ لعدم الثقة في الممكن أو في الجماليات غير المنظورة.

كنت منفلتا من كل الحدود الأخلاقية ولا حد لدي لتذوق جمالية أي شيء فكل شيء يمكن استخراج منه عالم مجنون.

لست مهتما بالدين ولا بما يشرعه فقد كنت أشياء كثيرة من المصنفات حتى لم أعد أعتقد بأني أي منها، الدين أعتبره إنتاجا بشريا سلطويا ولكني لم أكن أقول ذلك أمام أحد إلا نادرا ليس لخوف بل لعدم أمل في تغيير أي شيء بالمجتمع.

لم تكن لدي ثوابت مرجعية أعود إليها دينية أو غيرها وسبب ذلك أزمة طويلة بالنسبة لي، لأن تلاشي المتن جعلني تائها.

لذلك كنت أبتعد عن تأويلها بجنية أو حورية ملغومة بالألوهي.

ولم أكن أستطيع الذهاب إلى المسجد لأراها في الفجر عن قرب حتى لو لم أصلي بكلمات وأتفوه بشيء لأنه بالرغم من ذلك وضدته لما أعتقد كان البيت عاليا بقدر لا يمكن فيه رؤية من على سطحه.

أبي يريد هدم البيت لأنه لم يعد يصلح للسكن وأنا أرفض ذلك وكان هو لا يفهم سبب رفضي.

نوستاليجيا جدا أتذكر الأشخاص والأحداث برائحتها حتى.

بعد أقل من شهر سمعنا خبرا بشعا بانتحار امرأة من الطابق الرابع في منطقتنا الشارع الذي يلي شارعنا بشارع، وهي تلبس خلخالا رميا بعد الفجر أمام باب المسجد.

وهرعت إلى الشارع بعد سماع صوت عالي جدا وجري الأطفال، مليئا بالتساؤلات هل يا ترى هي من كنت أرى؟ تلبس خلخالا وعارية بالتأكيد هي.

وتداولت الأقاويل والثرثرات حول هويتها أنها كانت خرساء تسكن آخر طابق وقد أتت منذ مدة بسيطة للمنطقة وأنها بنت رجل من القرية، وآخر يقول أنها كانت عاهرة رغم أن ولا مرة شُوهد أحدا معها.

ولكني لم أكن أصدق كل ذلك حتى قالت الشرطة أنها مصابة بلوثة لما وجدوه من أدوية نفسية. ولكنهم لم يجدوا هوية أو أي شيء يدل عليها، فقط بعض الملابس لرجل في المكان لكنهم راقبوا المكان كثيرا ولم يأت أحدا.

لم أرها ثانية إلا في حلم، مذهبة، الوجه من كسور بلور بني، الهيكل يحج إلى كله، الشفتان مرافىء مجروحة لكل تيهي ملونة برمان مفروك، الروح بنت الله الصغيرة.

لا أعرف الصوت ولكني أتكهن بلا كهانة العالم، نغمة عود عبدالوهاب، والنظرة تشكيل غائر لسقوط اضطراري للنور على شمول عتمة.

لا أدري كيف أكتب بعد، رغم شكي في اللغة، في جوهر الحمولة لنقلي لك بأي درجة حتى. وشك الشاعر في لغته كشك النبي في إلهه!

لا أستطيع الكتابة بتنظيم كون العالم يدور بعد دفقة هيروين كبيرة وزجاجتين من الكحول، الخفة التي أجبر ذاتي عليها، كوني هذه الأيام معكرا بفعل المعاني المغتربة، فأبيح دماري.

بدأ الخيل يظهر وكان يظهر في الليل أكثر من المدى. اللغة تتعبد حول يدي، الفقرات الكونية تُلضَم، أي إبرة تتشاحن مع البعيد وانطولوجياه؟

لِم تتكوني مع كل تخالس مع كل الالام؟ لم تتزامني مع آناء الانتحار والبداء؟ أنا غيب أعرف، غامض بنسبة مادة قليلة، لكن النجوم تدور في سلسلة حول رأسي.

العين برأت من العالم، ورأت فيكِ فقط، والبقاء زوال في أي نص لكِ.

ولم أرقص من حينها إلا وتذكرتها وصنعت بعد تتبع قبرها مكان الشاهدة فتاة ترقص.

وكنت لا أردد سِوى لا تخذليني بمفارقة منامي حتى لو فرقتنا بلاد العرب وآلهه الأديان والأبعادِ والتراب.

أبي يستغرب من بقائي في البيت لمدة طويلة وعدم الخروج وكان هذا الحدث أول موقف أشك فيه في منطقية العالم وأشك في عقلي.

لست متأكدا هل كنت أراها أم لا؟ لذلك لي متن في تصديق هذا المجنون أني سأجن!

*

وضعت لأبي الورق اليوم الذي كتبته في الدراسة

" خطاب الصوفية

التصوف خطاب لاعقلاني لأنه تجربة تعتمد على الذوق والفاعل في إثارتها الانفعال فلا تعتمد على العقل في الاستنباط ولا على تخريجه للمعرفة ولا سيطرته الكاملة أو الجزئية فالمعرفة عندهم معرفة عرفانية لذلك ممكن أن يعد أنه خطاب ضمني "إن الخطاب الصوفي خطاب غير مباشر فهو أقرب إلى

الخطاب الضمني الذي يعارض الخطاب المباشر فالخطاب الضمني توليد لمستويات الأويل إلى ما لا نهاية ويمتلك كل خطاب ضمني خلفية تحيل إلى الجماعة السوسيو_ثقافية المنتجة لخطابه" وينتقل هذا إلى لغتهم وصعوبتها في العلاقتين بين المتصوف واللغة وبين القارىء ولغة المتصوفة فالأول"إن هذه الصعوبات التي يعانيها المتصوف مع الكلمات هي، في نهاية التحليل صعوبات مع المنطق، فاللغة هي الوجه الآخر ،المادي للمنطق" و الثاني" لغة المتصوفة شرود لا تنقاد إلا لأهلها ،كتوم لمدخراتها، ضنينة بمستوداعتها على غير السالكين سبلها."

العلاقة مع الغائب، العلاقة مع المطلق يجب أن تكون علاقة لاعقلانية بالضرورة كون المتعالق الأول مقيد وكون المتعالق الثاني غائبا والعلاقة من طرف واحد ماديا فالمتعالق الثاني لا علاقة له بشيء كونه لا يقيد بأي رابطة.

يعزو الأمر بالترميز بالكتابة دلاليا بالإله إلى القدرة الكلية والمعرفة الكلية أي إلى صفات المطلق فمساحة القدرة والحديث بذلك تكون لانهائية والإمكانية لأي شيء تكون لانهائية كذلك والشاعر له نفس مأهولة

بالتخييل عاجزة بالمادية عن تحقيق مجازاته بشكل واقعي ،وذلك من الاستشعار الشديد لكل شيء والتجريد الذي يربطه بالمفاهيم الأولى. فالشاعر يرتاح بالخلق وخصوصا بهذا الخلق لأن الأمر ليس تفريغا وإنما تحقيقا للذات، ونقل وعيه وتعيينه للامحدود وأسه الاحتمال لإصدار معنى مباشر أو التأشير له. ولأن ذلك سادية باطنية على الذات في تحريك الهوية وتغييرها هذه الأخيرة المحضة إلى المطلق. التعيين في قصيدة نوع من اللانهائية رغم أنها تعيين للذات في حروف محدودة فالشعر يلضم المسافات بين الغامض والمعلوم ويقدم رؤية لامنطقية ولاعلمية. لذلك كان أكبر الشاطحين شعراء بسبب قدرة اللغة على الإيهام بالقدرة الكلية وقدرة مخيلاتهم على ذلك أيضا. ”
الشاعر يُجيز لنفسه كل ما يُجيزه فعل الخالق : الوحدة ، والتميز ، والفرادة " وأيضا بسبب رغبة الصوفي في حالتنا بعدم التعبير بشكل كامل "وقال لي: أذنت لك في أصحابك بأوقفني، وأذنت لك في أصحابك يا عبد، ولم آذن لك بأن تكشف عنيّ، ولا بأن تحدث كيف تراني""

أحرق أبي الأوراق هذه المرة بلا أي انتظار حتى أني شممت الدخان وأنا في غرفتي وقمت مسرعا لأرى

ماذا يحدث، نظرت له نظرة عميقة ولكن هذه المرة غير خائفة ونظر هو بشكل خائف وغاضب أيضا.

لا أعرف كيف تلقيت نظرته بما أني كنت إلى حد ما خبيرا في تشوف العيون خاصة.

يظن بذلك أنه يستطيع إكراهي من وازع أبوته ومحبتي المظنونة له أن أترك هذه الأفكار التي بي.

لقد تغير جدا بعد وفاة أمي، صار عنيفا في اعتقاداته، كأن أمي مرهما لكل التطرف في داخله وداخلي. الأفكار هي الأفكار التي لديه ولدي ولكننا أصبحنا بشكل ما أكثر حدة في التعامل معها ولكن أبي مِن المستحيل أن يغيرها أبدا، كان ممكن أن يطورها ويتطرف فيها أكثر.

حتى أنه ترك غرفتهما وأصبح ينام في غرفة أخرى وأصبح سلوكه ناحيتي مختلفا، لا أعلم هل نسب الأمر بسبب الأفكار فعلا أم أنه بسبب أني أذكره بها أو أني المُتعالِق الوحيد مع طيفها الباقي؟

أظن أن المشاعر الإنسانية أقوى من أي شيء يحاول تغييرها رغم أن حدسي خانني كثيرا في ذلك.

أمي لديها حس صوفي بعيد حتى ولو لم تعلن، لديها استغراق ما في التأمل في الدين حتى، وكانت جدتي كذلك أيضا واستشفت أمي منها ذلك على عكس أخواتها وإخوانها الذين كانوا أغلبيتهم يذهبون فعلا ويقيمون الحضرات.

أبي يتشاجر معها دوما. ولكن ربما أنها لم تفعل سلوكيات تستفزه بشكل ما ظاهر للناس، فهي لم تذهب لحضرة يوما.

حتى أني أتذكر أني استيقظت على صوت جدتي بديعة في السابعة وهي آتية لأمي بالخبز الرقاق والعسل الأبيض.

و تنادي بعلو صوتها، الذي كان شجيا والذي كان تستعمله في الغناء أحيانا والبهجة غير المعتادة.

على الرغم من قلة المال لديها، لكنها كانت أكرم منهن جميعا.

لديها صنبور مفتوح للعابرين وأكل لمن يأتي من خارج القرية من بائعين متجولين، أو مسحيين الخياطة وبيع الملابس.

صديقة جدتي لأمي التي أوصتها عليها قبل وفاتها.

تأتي لها في العيد قبل أن تذهب لبناتها. أبي لا يستسيغها لأنها تكشف رأسها وكانت تقبل أقاربها بصفاء ونقاء وتحضنهم.

لم تكن حارة "بديعة" حارة عادية، كان تحوي الكثير من الدفء الصافي لنساء كبيرات هن ربات بيوت كثيرة.

ينعتها بالجاهلة وكانت أمي أحيانا تتشاجر معه وأحيانا لا ولكنها جدتي بديعة لم تكن تهتم حتى لو سمعت سُبتها منها، لم يمنعها ذلك عن المجيء.

أمي مقطوعة عن أهلها بسبب أبي ومعاملته القاسية والجديدة عليه بعد سفره إلى السعودية.

عائلة أمي عائلة روحانية، منهم من يذهب للحضرات ومنهم من هو نقي وليس له علاقة بالطقوس، لكنهم بعيدين عن التشدد والسلفية.

حتى في هذا العيد أتت عائلة أمي كاملة على غير العادة ولكن أبي عاملهم بجفاء وبدأوا يتحدثون.

أبي يثير المشاكل بدون داع وبدون مقام.

أبي: هل لازلتم تذهبون للحضرة الكافرة؟

خالي: وما علاقتك بذهابنا أو لا؟ هل أنت الله؟

أبي: كفار وزنادقة

وبدأ عِرقه الأحمر ينتفخ في رقبته وقام من مكانه حتى قال خالي للبقية هيا لنذهب، وهموا بالخروج حتى ذهبت أمي وراءهم ودخل أبي وخرج ثانية يشدها من على الباب.

في هذه لأثناء جاءت جدتي بديعة التي شدت يده وقالت له "إن لمستها ثانية لا تعرف ماذا سأفعل بك"

فقال لها :ماذا ستفعلين؟

وشد يد أمي بقسوة وبعنف حتى خلعت شبشبها المهتريء ونزلت على رأسه بالضرب.

صغيرا كنت وغرقت في الضحك من الموقف، وفرحت في داخلي الذي أصبح يقفز كسمكة وهي تجري وراءه.

لم أكن حينها أفهم شيئا، لم أكن أعرف ما هي السلفية؟ ما هو الدين؟ يأخذني معه للمسجد وكنت أكره الذهاب معه، لكني أحب الذهاب مع أخوالي الذي منعنا عنهم تماما بعد ذلك.

أسأل بلا توقف، من هو الله؟ أين هو؟ لم نعبده لو كان لا يحتاج أي شيء ؟

ويضربني بعد العودة لأنه نبه علي أن لا أسأل ولكني لم أكترث للعقاب، الشغف للمعرفة أكبر من أي عقاب أو ألم.

وكل مرة يتكرر الأمر حتى ما من أخذي ومللت من الأسئلة لهؤلاء الناس الذين تحمر وجوههم من الأسئلة ويقعون في الحرج والخيفة.

لم يقبل أبي أن تذهب أمي لجنازة جدتي بديعة لكني ذهبت وأخذت أمي بعد ذلك إليها، وظللت أزورها رغم عدم إيماني بوجود شيء في المدفن سوى بعض العظم.

توفت جدتي بديعة وتوفت بعدها في خلال ثلاث سنوات كل نساء الحارة الكبار، والصخرة الكبرى التي كانت تجلس عليها تمت إزالتها.

أتذكر بعد كل مأساة خبزها الرقاق، صوتها الشجن، حركة يديها ورنة غوايشها ومنديلها الأبيض المهترىء الذي كنت أحمله دوما في جيبي.

ألمها المستمر على عمي الذي توفى شابا ولمعة الحزن التي ما فارقت عينيها منذ عرفتها.

مزاحها وضحكتها وحكاياها الميثولوجية عن جنية النيل. عروقها الخضراء المنتفخة على الجلد الرقيق الذي ورثه أولادها جميعا هذه الصفة منها.

حبها لنا أنا وأمي وجميع من في الحارة وحنانها المطلق، ندائها علينا واعطائها لي الجنيه.

حقنة الأنسولين التي لدغت يديها من كل مكان وحمولتها النفسية الشديدة.

البلكونة ومكانها على الكرسي متأملة العابرين والعابرات بصمت.

والصخرة التي كانت تجلس عليها مع صديقاتها في الحارة ومُسامراتهن الحلوة وخوفهن على بعضهن ومساعدتهن لبعضهن، مبادلة الخبز والسمنة.. الخ.

أتذكر هذه النهاية التي وهنت فيها ومسحي للعابها ورعشة يديها وندائها علينا، رغم وحشية أبي بعدم ذهاب أمي لها. جسدها الملفوف في الأبيض ونصاعة وجهها في الغسل.

الألم الطفولي كان بالغا بفقدانها وظللت لأني لم أكن أفهم ما هو الموت، أسمع أغنية عبدالوهاب كلما أتت في الراديو "هان الود عليه" لاعتقادي أنها سافرت وهان ودنا عليها.

ولا أنسى عروقها خصوصا المنتفخة والخضراء في مرض أمي.

تأخذ الأنسولين الحقن وكان يؤلمها جدا فتظهر النقاط الخضراء الباهتة في كل يدها كل صباح وبعدها تسمع الراديو وتملأ "القلة" ولم أراها منذ وعيت تلبس شيئا إلا الأسود.

في الظهر تخرج لحارتنا لتجلس مع صديقاتها ربات الجيران لتحكي كل منهن مآسيها اليومية يُعلقوا على كل شيء يمر أمامهن.

عندما كنت صغيرا كنت أجد في الرقص وخصوصا تحية كاريوكا قبل أن أعرف اسمها بعد ذلك، مُتعة جمالية.

التلفاز دوما في أحيان كثيرة يأتي بها في أفلام.

جدتي تشاهد كثيرا المسلسلات والأفلام القديمة رغم حزنها النبوي على أولادها المتوفين.

بعد أن تُنهِي فترة الصباح مع الراديو. أمي

تستغرب من انتباهي للرقص ووقوفي مشدوها أمام التلفاز.

حتى في الأعراس، لم أكن أحب العرس نفسه لكني أذهب لأرى الراقصات على المسرح الخشبي. وجدتي من تأخذني بمراعاة أمي.

سامية جمال و تحية كاريوكا وبديعة مصباني من أجمل من رأتهم عيني وقرأت كثيرا عن حياتهن.

ربما نسخت حريتهم في الرقص جزءا فيّ، وهذا هو قدرة الجمال في توزيع المعقول كما قال رانسيير.

لم أكن أنتبه إلى الشيوخ ولا إلى الوازع الديني ولأن عائلتنا محافظة لأعمامي رغم وجود أعضاء منها كثيرة مرهفين للغاية، كنت لا أفهم كيف ينجذبوا إلى الصوت العالي للشيوخ ويقلبوا المحطة إن أتى رقص وأتشاجر معهم.

بعد أن كبرت أغلى هدية قدمتها لأحد هي بدلة رقص لصديقة وخلخال لصديقة أخرى.

جدتي ترقص أحيانا وتُحضِر أمي، شهدت ذلك مرة واحدة وكنت أنظر لوجه أمي وهي فرِحة، ربما لم أرها سابقا هكذا.

(٦)

عانيت من بعض أنواع الإدمان على مر حياتي، عانيت من إدمان الكحول أكثر من مرة ومن إدمان المخدرات بأنواع مختلفة، لكن كله تخلصت منه إلا الكتابة والتأمل في الغرفة، الحوائط، لم أفرغ أبدا من ذلك.

وكل مرة أفلت من أي إدمان جسدي، بالتخلص من الشعور بجسدي نفسه، مهما تلويت وتألمت، كان الأمر أهون من إدمان معنى أو شخص أو تعبير أو تأمل.

رغبتي في التأمل في أشياء معينة تجذبني للحركة والذهاب لأمكنة حضورها.

تحدد النشوة السابقة قدرتي على احتمال الانتكاسة القوية التي تتبعها قبل نشوة أخرى أعلى، والغريب أنه مهما كان الآخر شريك في النشوة لو كانت جنسا لا أخذه في أفق الاورجازم معي، وهكذا مع أي مخدر أو كحول.

قد تؤدي النشوة العالية جدا إلى الانتحار وقد تؤدي الانتكاسة العالية إلى الانتحار، ولكن الفرق أن في

الانتكاسة تكون الذات ثقيلة بينما في النشوة تكون الذات خفيفة، والنشوة بالتدمير تكون لترك كل شيء لعدم وجود أمل في تصور نشوة أعلى أو ألم أعلى.

ساعد الإدمان على فراغ المعاني، ساعدت النشوة على السوداوية لأن لا أفق تبقى يُنشِي.

أذهب لركوب المواصلات العامة لكي تلتقي عيني بأي إمرأة ويحصل ما يسمي " اتصال العين" أو أذهب لمقهى مخصصا لسماع ضحكة أحدهم، يضحك من قلبه بلا أي زيف من ذلك.

أتعرى عندما أعرف أن الحجاب هو ما يعطي معنى لأي شيء، لا الانكشاف المطلق.

لكن رغبتي في الفهم أكبر من اهتمامي بحياتي.

وأفعل ذلك دوما، رغم أن هذا ضد التأمل في نفس الشيء كثيرا لأني أفنيه بكشفه إلى حد عدمه، لذلك كانت تختفي الحوائط وكل شيء.

أنا الذي أعدم نفسه لفرط رغبته في معرفتها، الذي أفنى العالم لأنه تأمله بلا حد وجوده.

بدأت في الرسم على الرغم من أن أبي حذرني كثيرا من ذلك وقال إن أردت أن تفعل ذلك خبئه عني أو لا ترسم في البيت، لا أريد شياطين متجسده.

بدأت الرسم منذ الصغر ولكني أرسم إيروتيكي، كل من حولي ضد ذلك، حتى خبئت وقطعت كل ما رسمته وهجرت الرسم.

ولكني لم أهجر رؤية اللوحات فقد كان المرأى دوما فنيا في عيني مهما كان روتينيا. وتعودت على قراءة اللوحات شعريا، حتى غزت وغذت اللغة كل هاجسي.

حتى أمي كانت ضد ذلك، الرسم، وكنت أتساءل هل يمكن أن يكون شخصا إنسانيا وهو ليس حرا؟

ولكن الحرية ليست مرتبطة لدي بترك الدين أو بالتمسك به، بل هي أعقد ما وجدته كملكة الشعر.

(7)

كانت الصلة التي جعلتني أتعارف على الكثير من الأشخاص هي الشعر ليس المكتوب بل الشعر الحي خارج المكتوب، ولكن بقى من كان سبب تعارفنا الحزن والجنون دوما.

صديقي الذي يقول أبي عنه ويريد منعي من الذهاب لبيته كل خميس هو صديقي الوحيد المتبقي بعد الأفكار التي هي بالنسبة للمجتمع مخالفة لكل قيمه ومخيفة.

ليس الإلحاد حدا مجتمعيا مخيفا أكثر من إنتاج السوداوية وتوزيعها، أكثر من التخريب الدلالي للمقدسات، القيم.. إلخ

قد أنهيت ديوانا صوفيا رغم أني لا أظن أني شاعرا على الإطلاق وكنت أبحث عن أحد ما يدققه لغويا لي، كان هو فقط من يسمع قصائدي ولم نجد الديوان آخر مرة جلسنا يوم الخميس بعدما خرجنا والخميس الذي يليه وجدناه مدقَقَا وهو نفس اليوم الذي قابلني فيه المجنون.

فقده مضحكا بالنسبة لي رغم أنه مأساويا. فقده يشبه التعثر في بعض الطوب على سطح البيت واقتراب

وقوعي من الدور الخامس. فلم أنتبه ولم أعدِل نفسي بل غرقت في الضحك.

نتناقش عن المجتمع والسلطات واختنقت برؤية الحوائط حولي فقلت له نخرج نتمشى.

أقول له ونحن ننزل على الدرج المهدم الأصفر لبيته ونفسي شبه منقطع لأن التخييل زود قرب الحوائط:

المجتمع دوما يقدس السلطات مهما كان يعاني منها، لأنها تحميه أمام عدمية الحياة، لأنه يُعطيها معناه الأكبر و يُنشيء معها علاقة غائية.

ونجد ذلك في أقل العلاقات التي تكون في المجتمع مع أي سلطة من أبي لأمي.. إلخ حتى للكلمة للدين فكل شيء ممكن أن يستحيل إلى سلطة مهما كانت درجة ملائكيته المزعومة تاريخيا أو في السائد.

فقال لي بحنان ورقة لكي يُهدىء من روعي بعد فقد الديوان ونخرج للهواء:

قيم المجتمع تختلف عن قيم الشعر والفنون والآداب.. إلخ التي التمرد والخروج عن مألوف المجتمع والفوضى والجنون فيها مميزة. وذلك لأنه يميل إلى

الثبات لأن الثبات يحقق للسلطة كما أسلفت بأنواعها القدرة على السيطرة.

لكن لم تريد السلطة أو من يريد التسلط ؟ لأنه يريد العودة لأناه البدائية ولأنه يريد تحقيق أناه على آخر حتى يشعر بوجودها.

وانتظر قليلا وأخفض صوته لأن أحدا يعبر بجوارنا:

فمهازل العالم ومآسيه كانت بسبب نوازع أشخاص فردية وكذلك حضاراته كانت بسبب نشاطات ذهنيه لأشخاص ومحاولة مرضنة الاثنين هو نوع من تحقيق الفوقية للمصنِف والممرضِن لكي يحمي نفسه من وجود هذا النشاط أو النوازع فيه.

فقلت له مغتاظا وحانقا بنبرة مصمتة: فلدي أن ينعتك المجتمع بالجنون أو بالغرابة فهذا دليل على اختلافك وحريتك وإنسانيتك.

لأن هناك انزياح كبير عن القيم الجمالية التي تخص الإنسانية والتي تختلف من شخص لآخر لكنها تتحقق أكثر في هؤلاء الخارجين عن المجتمع لأنهم أكثر الأشخاص لديهم حس نقدي وهذا الحس النقدي يقربهم من المعنى الجمالي اليوتوبي أو المقارب له.

فقال : الحياة في المجتمع العربي صعبة بالنسبة لأي أحد مختلف والمقصود بالاختلاف هو عدم الإيمان بثوابت المجتمع وعاداته وتقاليده بشكل كامل أو جزئي.

والاختلاف ليس أفضلية أو دونية فقط اختلاف.

والاختلاف هذا ينشأ من حسية نقدية أو من اطلاع أو من تأمل في التفاصيل والكليات التي يؤمن بها المجتمع أو من رهافة فلسفية أو من اقتراب من الفنون أو الشعر أو حمل دلالاتهم أو حمل نشاطهم.

فقال : المختلف لا يستطيع ممارسة حريته بالكامل ولا يستطيع إن مارس جزء منها أن لا يتم رفضه من الاخر وأن لا يؤوله بالتأويلات البشعة الموجودة في تراث الآخرين من الكفر للالحاد للشذوذ للغرابة للتطرف للانحلال.. مثلما يحدث معنا، و لا يقتضي ذلك كون هذه التصنيفات في حد ذاتها أقل إنسانية بل الأمر له علاقة بتراث هذا المستكرِه وما يقدس من قيم وما يدنس

المجتمع العربي يخاف من الفن والفلسفة والشعر .. إلخ ذلك لأنهم أدوات تحررية لذلك أي أحد مقترب منهم

،يمسه فيضهم ،يوصف بالشيطنة والأبسلة لأن إبليس في التاريخ الديني هو أكثر الكائنات دنسا.

فقلت له: كتبت بعض الشعر الصوفي البارحة

فقال: آه لو أحببت امرأة أكثر من مطلَقك، ستعبُدَك، هات هات الشعر

فقلت :

كنت في بعضك وكنت في كلي

بعضي ارتد وكلك مشى

فجز لي صلة

حتى لو كره وعدى

لا أقدر كالمجدلينا على رؤية عيني مصلوبة

مع معشوقي الذي انتهى،

ولا كإبليس

أبيح تفصد قلبي لنهايته

على طين لغا.

كرهوني لاني صورتك بلا أنا

ونعتوني مهما تجردت بالانا

اشفني مما أدركت منهم

ومن حيثي الذي غبت فيه

مجازي خلقك كما هو

من غامض أكبر بلا حد

ورقة آيل هرب من الهنا.

أعرف أن لغتي ناقصة مهما اكتملت

وأن معنى المعاني نوى

غايتي كلمة في سبحانك

شردت من ندى.

فقال: أصعب شعر ممكن هو الشعر الكلي لأنه يتطلب ذاتا لها قدر كبير من الفلسفة والرؤية الشمولية ليست التفصيلية فقط

فقلت: معك رأيت صوفيين كثر مستوى الصوفية بالنسبة لهم في الطواف بينما الاقتراب من الله يكون بوجود معاني متعالقة معه ومحادثات ووجد ونفي وشك وتأويل

فقال: لم تجرب أن تدخل مجتمع المثقفين؟

فقلت: المحاولة ليست في بالي، الكتابة فعل وجود بالنسبة لي. أنا خارج طريد. المجتمع، أي مجتمع، لا يريد خارجين عنه، بل مؤمنين بأصنامه أيا كانت هويتها وعاداته وتقاليده وخوفه وتابوهاته.

والكآبة تلاحق المختلفين الأحرار دوما فهي تمثل جبرية شعورية عليهم بسبب ازدياد الوعي بدلا على ان يكون منتشيا فازدياد الوعي في المجتمع القمعي عار بالنسبة له ومصدر للألم، ولا يمكن أن يقلل المختلف من وعيه بعد أن ازداد، والتكيف يقتضي منه بعض النفاق.

فقال: المجتمع أيا كان تراثه ينبذ كل مَن يخرج عليه ويدمره نفسيا بالملاحقات والمضايقات مثلما يفعل أبوك معك وأهلي المتبقيين معي. لا يريده أن يبدع لأن استخدام المخيلة يهدد متن المجتمع المعرفي و الايماني.

فكيف يكون الإنسان الحر المختلف متزنا في هكذا بيئة بالإضافة إلى الالام الشخصية وآلام الفكر؟

فقلت له: بعض الأشخاص المختلفة لا تستطيع تفكيك مشاعرها في علاقاتها مع الآخر وذلك لا يُلام أبدا وبعض الأشخاص تتصلب مشاعرها تجاه المجتمع، لتصنيفاته ونعوته لا لنقده الحقيقي.

و رغم أن الأول يعاني بالأكثر داخليا لأن لديه إيمان شعري وذلك الإيمان الشعري أتي أنه تغير وله نفس السمات والصفات والبيئة فلم لا يتغير الآخر المتخلف ذاك؟ أما الآخر فتحدث له صدمات قوية تبعده عن الرهافة التاريخية التي كان يشعر بها ولا يلغي ذلك رهافته بالمطلق بل تجاه التصنيفات تلك.

فقال: كيف ترى هكذا بتفصيل وتفكيك؟ كيف لإنسان أن يحمل كل هذه المعاني

فقلت: يبقى الآخر المتخلف وليس ذلك تصنيفا بل وصفا له لأنه متأخر عن المعاني المتسعة التي يحملها هذا المختلف.

فالاختلاف ربما يكون اتساعا في الرؤية وربما يكون عمقا في المعنى وربما يكون اطلاعا بعناصر أكبر لتكوينات العالم من تفلسف وشعر وفن وأدب .. إلخ. بالنسبة لي أنا فقط مكتشف المنطوي، القعر والعورات.

فقال بابتسام: إن سمعنا أحدا سيقتلونا، ليس لكفر بل لجنون هه

فقال: نعم فعلا، هيا نصرخ ونجري؟

فقلت: ههه هيا

عدت للبيت قلِقا رغم ضحكنا، لم أكن أستبشر بما هو قادم أبدا. ولم أثق أبدا في صديقي المفاجىء دوما بما لا يتوقع أي أحد.

عدت للبيت وأنا شارد ودخلت غرفتي واستلقيت على السرير وغرقت في النوم سريعا على غير العادة.

سمعت صوت أبي ولكني لم أعره انتباها وسرحت في لاوعيي وعمائي لأحلم بالحلم المتكرر دوما منذ الطفولة وهو شخص ما يسرح شعره في سواد مطلق إلا نور خافت في غرفة جدرانها زجاجية وعليها ضوء أحمر. لم أتبين ابدا من هو ولم أنسى الحلم ولم يتركني منذ وعيت أني أحلم.

كانت الساعة السابعة مساءا ولم أستيقظ إلا السادسة صباحا، على صوت أبي وهو يقول لي بصوت عالي: صديقك المجنون انتحر ودفناه كرما لأبيه بلا غسل أو جنازة وهو يُوارِب الباب.

قمت من السرير مفزوعا حتى وقفت أمامه وقلت له:

أي صديق مجنون؟ ومن الذي انتحر؟

فقال:

ابن شيخي الأكبر الذي علمني، يخرج من جنس الجميل الدنِس.

لم يكن صديقي مريضا بشيء ولم يكن يتناول أية أدوية لكنه كان يطلق في أحايين كثيرة رغبته في الانتحار.

وتناقشنا أكثر من مرة في هذا الأمر وكنت دوما أقول له أن ما هو عليه الآن يمكن أن يتغير، حالته النفسية والذهنية وجداله مع المعنى وإلخ. ولم أكن أحسن منه حالا، كنت أريد أنا أيضا الانتحار.

لكن يوتوباه الذاتية التي كونها وجدانه من خلال الرهافة الشعورية واكتشاف أن الشخصيات تلك التي كانت مصدرا لليوتوبيا أو الالهه أو ذاته، هي مجرد وهم.

انتحر صديقي من أعلى المئذنة للمسجد الذي كان يُجاوِر بيته والذي هو تبرعا من عائلته والذي كان والده هو شيخه إلى أن مات وأمامه.

لم أعرف إلا بعد أن دفنوه، وبعدها لم أكن أخرج من البيت أبدا.

و عرِفت من خلال الشرطة التي جاءت لتخبرني أن نقل ملكية بيته إليّ بعد أيام وكل ما يملِك. لم يُخبرني بأي من ذلك أبدا ولم يُنوِه حتى.

أعطتني الشرطة المفاتيح والعقود ووجدت في وجه أبي استبشارا لا أسى. لم أكن أعِي موته، لم أكن أتصور ذلك.

أفعال المقاومة كثيرة، من التعبير ومنها الصمت ومنها الانتحار ومنها الإرادة في الحياة.

حق معناي ومعناه الانتحار، عدله الأكبر، حقه البياض الاخير المحرق والكف عن ترك العالم.

نمت وأنا أفكر في صديقي، واستيقظت سكرانا بلون الفجر وسحره وفي داخلي غصة عظيمة من العالم ومن مآلم الحقيقيين.

أدندن للتوني وعلى وعي مباشر بدلالة الازدهار للافول. ولا يوجد أي عزاء لعدم الانتحار سوى بحة التوني الغادر الذي يحلل وجودى كله. استيقظت وسط أعماق ربانية للجنون بحبكة مجدِفة قلقِة.

سطعت الشمس بضوء أزرق وأنتجت امبراطورية من جثث الشخوص.

بجواري الديوان، هذه الجثة التى تحيا فيها آلاف الديدان الدلالية المتأججة للخروج لماهية العالم.
بجوارى فراغات لانهائية متعددة تتضاعف مع نظرى لها. عين حزينة تراقبني بؤبؤها فحم مشتعل. قلبي طيع لاستثارة الكراهة جميعها في العالم.

حلمت بمريم العذراء حلمي المتكرر، أنها على جبل عالي جدا وأنا عين في الحلم، يخرج من بطنها ضوء رهيب ساطع جدا، وأخرج من بطنها ميتا مرميا من أعلى الجبل.

بكيت بلا قدرة على التنفس وقلت بصوت خفيض "كان ينوي الانتحار لأن العالم لم ينجح أن يستلبه من حقيقته رغم اضطهاده، كان ينوي الانتحار لأنه نفسه لم ينجح أن يكون تافها، ولم يقوى على المقاومة أكثر قوة العالم ولعدم جدوى المقاومة له وللعالم في شيء."

وحملت نفسي إلى بيته، ماشيا ببطء ورأسي ستنفجر من الصداع الرهيب، دخلت إلى الغرفة التي كنا نجلس فيها ووجدت على المنضدة ورقة، لم أعرف له وداعا

أو رغبة فيه، حتى عندما كان يخرج من عندي أو نفترق يمشي مباشرة ولا يقول شيئا.

"أظن أن عقاب العالم الأقصى والأقسى لم يكن النبذ ولا الوحدة المُهداة ولا الجنون ولا الرغبة في الانتحار بل كان تفاهته نفسه وعبثه.

كنت أريد أن أقول حنانيك يا"___"ولم أجد قيمة في قلبي تناجى وتُفرَد لها المناداة وتُغرد لها وربما هذا من مأساوية الإنسان أن لا يجد من يغرد له.

سنصبح قاتلين لولا الكتابة والانتحار، ولكننا بالكتابة أصبحنا مجرمين في داخلنا.

أنت تعلم أن هناك فروق بين الشخصيات في الإدراك على حسب التجارب، ولكن التجارب التي تعمق الحدس دوما هي التجارب بالقرب من الموت إما بتجارب الانتحار أو تجارب الفقد أو أنواع الموت الوجودية من الفراق.. ولقد فقدت ذاتي قبل أن أنتحر.

رغم مأساويتي، وأنا أفكر في الانتحار دوما أرى أرض برتقال صفراء مغلوبة من صمت عميق.

ربما أذهب لها الآن، أتمنى أن لا تتذكرني أبدا وأعرف أنك لن تفعل وأني لن أفعل لو كان الأمر متعاكسا"

اللهم حبكة حياتي انعدمت فلا تزين أي حبكة أخرى

اللهم عيشي حجاب لي

وكفري بكل شيء حقك

اللهم إن مؤمنيك زائفين

لم يحترموا حرمة قلبي وقلبك

اللهم يا متولي الوحيدين في الباطن

اغلب ملكك في وحررني

لا أحب شيئا في العالم

اللهم أعلم أن انتحاري قادم لامحالة

وان الامل فيك ليس من حقي

لكن عزيني بالألم أو الشهود

غلبني قلبي فنأيت

والوحدة لم تعد تسع صراخي

اللهم إن ضعفي أقوى من قوة العالم

لكني لا أريد المقاومة

اللهم لا تعذرني إن جرت على قلبي

وحاكمني بما لا أطيق

اللهم اجعلني أدركك مهما فنيت

ولا تجعلني أرغب في العالم مهما تزين

اللهم إني وحدي ولا أريد جوارا

اللهم وفيني لعنتي كاملة

وعجل فتقي على الصلبان الذاهلة

اللهم إني أصدق كل ألمي

ولا أصدق غيره

فلا تجرحني فيه

ولا في الظلمة

التي سترت المدامع السيارة منذ بدئها.

اللهم ربي اكفني من الزهد

بما لا أحتاج فيه ما ليس من ملكك

وما لا أجور به على المحتاج

اللهم العالم فقير دوما

لمشكاتك القادرة

مهما تنطع في السحب العالية

المعنى يحوجك.

اللهم هل قلبي باطلا

والخوف حقيقة الخالية؟

اللهم خلا كل شيء في عيني ومن عيني

إلا جثتي بين التراب و السماء الشاعرة

اللهم إني لم ألتقي بعد

من أحبك لذاتك

وترك وجوده الا المتصوفة

اللهم جحري يضيق

وصدري ندرت فيه النسمات

ولكني لازلت أظن قدومك

في القصيدة التالية.

كانت روحي طوافة بلا حيرة

في أكفان الموجود والمجرد

حتى اختبرت الألم

*

(٨)

برية روحي تظهر في المضاجع البيضاء وفي نهاية القصائد وحبكة النظرة للسماء الملونة. نظرتي الحادة المغرقة في الهتك المباشر لأي دال على استباحة لحزين أو هالك.

صنوف البرية كثيرة رؤية الدم في بعض الكلمات عند كتابتها وعدم الاهتزاز أو الخوف والمشي المتطرف في أخيلة لا تُعرَف.

ومن هذه الصنوف خلق الشخصيات بعد الوحدة التامة.

أخلق كل يوم شخصية وأسميها اسما ونتساءل معا، نتسامر، نتشاجر. نتحقق باللغة ونضيع ذواتنا باللغة وبدأت كانت أنثى أسميتها "void" بمعنى فوضى. لا أعلم ما حاجتي للغة، للحوارية والمحادثة، حاجتي لممارسة اللغة مع آخر؟

إنها أفعال الوحدة، طقوس زمنية مع كل وعي فيها، حيث الشكل جثمان طيع، أي شكل والتنوير لمساحات المتخَيل لانهائي.

الرموز كاملة الدلالة في خواتم الأنهر والليالي. لا أعلم هل كل هذا لمداراة المرأة الوحيدة التي أحببتها بمفهومي عن الحب وكنت أحاول إيجادها في كل امرأة عرفتها.

كانت الصلة التي جعلتني أتعارف على الكثير من الأشخاص هي الشعر، ولكن بقى من كان سبب تعارفنا الحزن والجنون دوما. وهي الوحيدة التي عرفتها لشعر والجنون والحزن معا، هي فقط.

شفتانا التي تعانقت، وحِرزانا من الألم المتصوف يوما، على أغنية يا بحرية لمارسيل خليفة، الان سدرة تسافر في هاجسي طوال الوقت والجندول المتسرب من لماك عكرته الايام. الخروج حق نأيي وكفي بترا من النبش. جديبا الان وجدبة الاشياء والأماكن والشخصيات التي أكونها. لا أستطيع مراسلتك ولا قذف رياحي إلا للورق. أتشهى عناقنا ودخولك للحمي وسرديات نفسي. عينك الصغرى وكفك الصغرى، أشقاني كل شيء وأشقيت كل شيء حتى سندسيتي. حقي العادل الذهاب أو الاعتزال نهائيا والسفر بلا عودة إلى أي أحد أذيته، ليس جلدا للذات لاني انسلخت إلى سوط لكن هذا لا يريحني وأحدا آخر ينطق من لساني بأي لغة أيا كانت

أقولها، لم أعد أريد قول أي شيء، لم أعد أريد الحكي. أي مشرط حولي سيفي بالغرض بلا دموع وبلا خوف.

لم تكن تحب أن أُزخرف خاصرتها ببقايا الالوان على يدي من محاولة التجريد اللوني، كانت تكره سرتها وتكره اي نظرة لها أو التعبير عنها وتحب أن أسند العود الرخيص الذي بعته بعد ذلك لأشتري الكتب لنهدها الثقيل، هكذا كانت تقول" أرخه لدلال عشتار"، ورحلت أو رحلت أنا كعادة مزمنة، هي هجر المضاجع وعدم مشاركة أي ليلة في سرير واحد مع أي امرأة، هي المرأة الوحيدة التي استمررت في محبة نَفَسَها، رغم كرهي للأنفَاس كثيرا وعدم احتمالي أي اقتراب، سلاما يا غائبة ورحمة من نهدكِ.

في الخراب الأخير الذي لا يعقبه أي عمران، أنا الدم الاسود لكل المُراق، الذي كان يستبطنه.

الموسيقى التي تنشي بلا لغة، الإبداع الموجود في حركة كل شيء، الإبداع الصافي الذي لا يوجد فيه رسل لغوية أو لونية.

هو أكثر إبداع فني يثير فيّ حركة شعورية ومعنائية ووجدانية ربما لأنه هو المُدرِك الوحيد في العماء أو

في النور. هي أحيانا حفار لكل المدفون وما لا تطاله اللغة وخصوصا المجهول.

أحيانا تكون موحية بالمطلق، على حسب التصور الشخصي للمطلق. وحي اللغة معين. ووحي الموسيقى مطلق.

لذلك الموسيقى ليست عنصرية لأنها لا تطالها إلى درجة كبيرة الأنا.

بعد فترة كبيرة من اليأس والانعدام تأتي مقطوعة موسيقية تغير كل شيء وخصوصا الأوبرائية منها لأن اللغة لا تشوه فيها الموسيقى وأيضا التخييلات المستوحاة منها لا تحتملها الأوراق.

هناك قصائد كثيرة ودواوين كتبتها من وحي الموسيقى في رأسي وكانت أقرب من كل مكتوبي، دوما الطيفي أقرب لي.

لو حددت الوحييات التي جاءت لي من الموسيقى مهما كان نوعها لن أنتهي لكن هناك أغنية لمارسيل خليفة، يا بحرية، أسمعها كل يوم ووحيها دوما مختلف، أسمعها لأحضِر الحدث الأجمل في حياتي معها.

تبدأ بعلو موسيقى و بعد ذلك تبدأ في التدرج و الانحدار النغمي وبعدها تعلو ثانية لكن بين العلو الأول والعلو الثاني هناك مشادات كثيرة كأنها مشادات للتكون.

وأنا أسمعها كل يوم يأتي تخييل أن هناك شخص يرقص في فضاء ما وشكله غائب مجرد وفي بين العلوين يدفن نفسه بنفسه وبعد ذلك في العلو الثاني يقوم ببطء وينفض التراب والتراب أيضا يكون له شكل غريب.

الكلمات وبين الموسيقى مناسب، " شدوا" الدلالة اللفظية للكلمة، شكل من أشكال الحصر وبعد ذلك يقول "حرية"، يحصر الشكل التكويني للإنسان وبعد ذلك يطلقه، وأشعر من ذلك أن لا توجد حرية لكل شيء، يجب أن تعين وجودك، تعين ذاتك لكي تتحرر وتدرك كل هذا.

كارل جوستاف يونغ كان لديه نظرية في علم النفس تسمى النماذج الأصلية، هناك سمات للاوعي موجودة في كل الثقافات فمثلا في الحضارة المصرية القديمة هناك إله لمفهوم ما، تجد في الحضارة اليونانية أو

غيرها إله لنفس المفهوم لكن باسم آخر ومقارب جدا للتصور هذا.

أحس أن المنشيات الموسيقية أيضا نماذج أصلية، وهذا مثلا في مقطوعة موسيقية لكلنت مانسل، ومقطوعات أخرى، يعلو ينخفض ويعلو ثانية، وهناك تفاصيل في العلو على حسب الآلات الموسيقية وتفاصيل في الانحدار ونغمة الانحدار

العلو الأول علو مفاجىء. الموسيقى هي أكثر شيء ينسخ الشكل التكويني للعالم والإنسان، العلو هذا العدم أو الأزل وبعد ذلك يتكون الإله أو الإنسان وبعد ذلك ينعدم.

العلو الأول كان مفاجئا في الأغنية يا بحرية، العلو الثاني عبور نحو هدوء، لكنه هدوء في تاريخه ثورات كثيرة في المخيال لدي.

صوت مارسيل خليفة أقرب إلى صوت الموسيقى نفسها، يعنى الكلمات مهما شوهت صوته يحتفظ بشكل من أشكال الصفاء النغمي التام، صوت أوبرائي جدا، تشوهه اللغة فهو ما يفيد الكلمة،يغنيها، يصفيها من الشكل البشري، صوت دلالة، صوت مجهول، صوت يستنفر مثلما تفعل الموسيقى في داخلي، ليست في

مساحة الكلمات التي يقولها يكون ذهني بل في مساحة دلالات الموسيقى. هناك أصوات مقاربة منها صباح فخري و عبدالوهاب.

بدأت فويد في الحديث:

- هل وقعت في الحب من قبل؟

: لا أعلم لكن أظن نعم ، أنتِ؟

- لا، أنا لا أفهم ما هو الحب بالنسبة لي، هو احتياجات فقط

: التعريفات فاسدة لكُلِ مفهومه، لكنه انخطاف لامنطقية لقلة معلوماتنا عن ذواتنا والآخر

- أجد أن الحب هو فكرة يخلقها الشخص عن شخص آخر ويحب تلك الفكرة التي لديه في خياله، لا يحب الشخص نفسه بل الفكرة التي لديه

: أليست تلك أيضا مع ذاتنا وفي أي علاقة؟ يمكن أدلجة كل شيء بالعقل والمنطق لكن ألا يبيحوا غامضا لا يعرفوه. يسمح بتأويل كل فرد لأي شيء بأي شيء؟

- مع ذاتك القناع يسقط لكن لا يمكن أن تكون لديك فقط فكرة عنك لأنك أنت مصدر الأفكار بينك وبين نفسك

: لا لا نتحدث عنا، نحن احتمالان قلائل، كل شيء محقق، يوجد تصور عني لدي، هذا أيضا، أقصد فرق التصور عن الجوهر إن كان متماهيا، ليست محاججة أو جدل، أنا أتناقش معي أيضا وقلما أجد ألسنة بها لعابي الفوضوي

- ليس ضروريا أن يكون الشخص غامضا، لا أنكر أن هذا الشيء يزيد من فرصة أن يقع الآخرون في حبه لكن سأعطيك مثال مثلا فتاة تحب شخص لطيف هادئ و لديها فكرة مثالية عنه. و بعد ذلك قام هذا الشخص باغتصابها او التعدي عليها بأي شكل من الأشكال، في هذه الحالة تفقد حبها تجاه هذا الشخص

: لا يا void ، لا اقصد غامضا بالشكل المعتاد، أي شخص غامض بدرجة لأنه لا يعرف كله هذا ما قصدت

- هذا الفعل الذي قام به هو حقيقته فلماذا تفقد حبها تجاهه إذا كانت فعلا تحبه هو و ليس الفكرة التي لديها عنه

:طيب لنمشي، لم تفترضي لاوعييا أنها ترفض اغتصابها؟ لم تضعي معيار بعيد خفي ببشاعة الأمر، انا أفكك معكِ

- اعلم أنه أمر بشع لكنها حقيقة ذلك الشخص

: الغريب أن كل ما نملك من تساؤلات هي لأن معاييرنا غامضة، لأن لديكِ معيارا أنها لا يمكن أن تحب جلادا بشعا هذا معيارك فقط.

أظن أنه لا يمكن اختبار العالم إلا في ذواتنا

- في تلك الحالة ستعتبر مازوخية و مريضة نفسيا بالنسبة للمجتمع. أنا الآن لا أضع معيار محدد بل أحاول أن أفهم و أصل لجواب فقط

: هذا سؤال آخر من حق الشخص التلذذ بالعذاب؟ وهل حرية المجتمع لها من الأصل قيمة. أنا أرفض كل ذلك كل المعايير لكن صدقيني اللغة والوقت قليلين !

- بالنسبة للعالم و المجتمع أم رأيي الشخصي..؟

: يجب التحدث كثيرا لتفهمي وجهة نظري. أنا أظن أنه تدوير عدمي غريب هذا العالم، مليء بالوحل وضعت فيه أبعاد زمنية وبعض الوهوم لذرة في القعر.

الوصف الذي قلته، هناك معيارية اللغة تقوم على الثنائية، الوحل للتحقير، الوهوم يجب أن يكون هناك حقيقة، القعر للشكل الوجودي للعمق، أنا افكر حتى في الفاظي. الأمر أصبح صعبا جدا

-أظن أن هذا الأمر أعمق من ما يبدو عليه، فهمت قصدك.

- ذا سؤال آخر من حق الشخص التلذذ بالعذاب؟ هل تستطيع أن تختصر هذا الأمر في كلمة؟

: من حق الشخص أن يتلذذ بما شاء مهما كان طالما لا يؤذي أي أحد لأنه أن أذى يتعدى على حق اخر في البؤس

- و إذا قام بايذاء شخص آخر ليحصل على متعته...؟

: كنت ساقول لكِ، كيف نعرف رغبة الشخص باللغة؟ هذا سؤال اخر أم بظننا عنه، إن قال لا ولكنه يريد نعم، من تحكمنا اللغة؟ الأمر يجب التخصص والتعيين فيه، كيف نعرف رغبة الشخص باللغة؟

- اللغة وسيلة فقط أما الفكرة و المتعة نفسها التي سيحصل عليها ذلك الشخص لا يمكن أن تترجمها الكلمات ابدا
- لا أقصد أقصد كيف تعرفي أنه موافق ام لا، ليس هناك اي متعة في عذاب شخص موافق على أن يتم تعذيبه

: هذا رايك لكن ليس من حقك منع ذلك

- ممكن أسأل سؤال..؟ هل تلذذت بعذاب أحد من قبل؟

: هه لا يا void، لست ساديا بالمعنى ولا مازوخيا، لكني احاول أن أفهمهما بدلا عن التصنيف

- كيف ستفهم شيء لم تعشه من قبل؟

: احاول فقط

- أظن أنه ستتكون عندك فكرة عن هذا الأمر فقط و ليس فهمه بالمعنى الحرفي

- وحتى إن جربت ستكون فكرة، ليست معنى حرفيا الا لي. اتسعت الأفكار والمشاعر حتى ضاعت حرفية الاشياء.

– مشاعر..؟

: نعم، غامض وهرمونات

- غامض من أي ناحية، هل تقصد التناقضات التي تسببها احاسيسك و أفكارك مثلا؟

: يعني غير معلوم لقلة الإدراك والوسائل

- كنوع من البرود..؟

: نعم

- هل يخلق لك هذا الأمر مشكل أم أنك تجده عادي؟

: ماذا؟

- يخلق مشاكل

: لكن انا أصبحت اتجاوب مع كل شيء على أنه لعبة

- و ما هي نهاية هذه اللعبة..؟

: لا شيء معروف إن لم تلعبي، وطوال الوقت تتغير الدوائر

- لعبتك أنت من تضع القوانين فكيف لك أن لا تعرف نهايتها

: لا اقصد لُعبتي لُعبتي إن كان العالم لا يوجد فيه غيري. بل كل شيء لعبة، آن عالي ضخم.

- يعني أنك تجاري العالم فقط و تعتبر هذا الأمر لعبة صح

: هههه ضحكتيني، اجاري ماذا void؟ خصائص اللعبة الفوضى. لا تعرفي حياتي كيف تسير؟ لو كنت اجاري كنت انمسخت، عارضت كل ما شئت وحملت الألم والعقاب مهما كان ليس نظريا

- بالطبع لا أعرف أنا فقط أكون فكرة عنك

: اتركي مساحة فقط لا تملئيها. لا يمكن أن تخرج الكلمات هذه كلها من مُجارِي

- جدي منفتح، متعاطف متجاهل، هادئ و عاطفي و فوضوي في نفس الوقت، سريع البديهة و تتقبل الإنتقاد و لديك قابلية لتبني أفكار جديدة مهما كانت

: جميل لا استطيع فعلا أن أصف نفسي باي شيء

- لماذا

: لا اعلم فعلا لكن الوصف سمر مع وهم، لا وصف لانه لا جوهر أقيس عليه، سائل طوال الوقت، لكني لا أكبت أي شيء حتى لو كان تدمير العالم كله ولو لي قدرة على ذلك

- هممم نظرة مثيرة للاهتمام

: لا تستطيع وصف ذاتك لكن ماذا عن غيرك..؟

- ولا حتى غيري، الوصف حتى لو فعلته لعبة تلبيس، الآخر من شخوص روايتي، وانا من شخوص روايات الاخرين. خلق في خلق

حتى لو خلق بلا معنى، ممكن فعلا فويد. اترك العالم لو كانت القيامة الموهومة لأني أريد أن أقص أظافري.

يا فويد لم اقل أني لا أصف، لأني أتحدث لكني لا أؤمن بالوصف فقط

اللغة الحرفية لا تعبر بالنسبة لي عن شيء، وإن لم تكن مجازا فيجب أن تكون متحركة، لهذا أتحدث شعرا دوما لاني العدم في شذرة والوجود في شذرة في نفس القصيدة. بالفعل يقوم العالم على الشعر ليس الشكل التافه الذي يصدروه بالرقة واليوتوبيا.. والخ

- هممممم فهمت قصدك. هل تلعب المبادئ دور مهم في الحياة بالنسبة لك؟

: إلى حد ما في التعامل مع الاخر، لأن هذا ليس من حقي أن اؤذيه أو انشيه أما داخلي ممكن أفعل اي شيء

- لماذا تعطي قيمة لآخر..؟

: لأنه فاعل في، فاعل في نشوئي وتنحيته غير منطقية، حتى الكتب لآخرين

- من قال شيئا عن تنحيته؟

: النطفة والسائل

- هل تهتم لما يشعر به غيرك..؟

: اللغة الدلالة، نعم اهتم جدا

- لماذا؟

: لكن ليس ناحيتي

: رأيت أحدا يتألم في المقهى ودمعت، لأنني لا أقيس الناس علي. هو يتألم فعلا وأفكاري لا تذهب له شعوره. شكل من أشكال الزهر المتبقي، الزهر يفوح بلا إرادة منه. ينشي يجمل، كيان الرائحة.

- لا أفهم هذه الأشياء

: لا أحب الزهور ولا الروائح الا روائح معينة وأغلبها النتنة لكن التشبيه لقلة التعيين. لا يوجد عموم لدي فويد وهنا الامر اني لا أكبت أي شيء حتى وان كان مخالفا لي

- أنت حقاً مثير للاهتمام

: الآخر دوما تنجبه عينك وانت تنجبك لغتك، سأحاول النوم اخذت المنوم وشربت بعض الويسكي

- ما سبب شربك الويسكي..؟

: فقط يصيبني بأكثر شيء مفكك، عقلي صارم جدا، احننه فقط به.

- و هل الصرامة شيء سيء. ..؟

: لا لكن ليس طوال الوقت، لا يؤثر في شيء إلا بعد جرعة كبيرة جدا بسبب المهدئات التي اخذتها، لا يوجد إلا إلهيروين.

- هل تحاول تخدير ألم في داخلك أم تحاول تخدير نفسك بصفة عامة..؟

: لا يتخدر شيء لا ألمي ولا انا، لا انتشي لكن اغير فقط وعيي، بدلا أن أرى الحوائط ثابتة أراها مهتزة. الألم ترسب والعالم دُهن

- تحدث معي في أي شيء تريده أنا معك

: مم، لا شيء يكتمل في ولا بي ولا نص ، لا أشعر بنهاية شيء، كل شيء ينقصه شيئا، ينقصه هو.

- النهاية هي الموت

: الموت نقطة متحركة، لا أشعر اني حي مثل الناس حولي، ليس الأمر وعي والخ

- همم مثل الفراغ

: دائرة والمدار جامع للعبث. الاحظ دوما بكِ وبي وبأي أحد، أن الكلمات النهائية التي تعتمد عليها الجمل عبثية، الفراغ مكان. الأمر تعرفي الملأ والاستفراغ، أنا املأ ذاتي واستفرغها. أنا _ ليست حية بي. لا أشعر أن الذات ذات.

- مهما ملأت في ذاتك فسيضل الأمر مزيف و ستعود لنقطة الا شيء مرة أخرى

: ليس الأمر زيف، العدم اول وآخر، هذا بديهي بالنسبة لي. كما قلت لك لعبة الخلق والتدمير. كان عدما ودهنته بفعل تلو فعل، كشطته فعلا تلو فعل، ليس ذلك ما اقصد، بل إن هناك حدود للعقل، مكرسة صلبة.

أشعر أحيانا بجزء من رأسي يعمل فقط والباقي لا فعليا، الآن أعلى جبهتي لا أشعر بجسدي نهائيا أحيانا بدون أي مخدر، أنسى اللغة والحركة

- هذه هي الاضطرابات التي تحدثت عنها سابقا..؟

: نعم

- ماذا اخبرك الدكتور النفسي..؟

: العادي اكتئاب حاد، وقال لي لا أعرف فعلا هذه أول مرة يمر علي هكذا حالة وأنا لم أخبره الا القليل

- هممم هل حاولت الانتحار من قبل

: نعم

- كم من مرة؟

: ثلاثة

- لهفتك للموت لم تكن قوية للغاية

: لا، شرطت كل عرق في دهورا بلا أي ظهور لشيء كانت الأرض

فويد، والطُعم كان مللا لخلايا

- هممم فقدت الرغبة في الموت أم فقط استسلمت للحياة ام أعدت بناء أمل لنفسك...؟

: كنت أعزل خبيئا كمرمر في انتظار، لا ليس الثلاثة، لم أشعر برغبة فقط في شرط عنقي، إن في أي وقت شعرت سأفعلها، ليس لدي خوف أو شيء. لم يجول الأمر فقط.

أنا دوما في هاجسي لغة رغم أني اليوم لم أحرك لساني إلا بضع كلمات. اللسان عضو مذهل، شص لعدم، جبل في فمي.

- وسيلة مذهلة

: قست الحوائط بالزلفى وقست الأجنحة بالهروب. لساني مربوط بالتاريخ كله، يجره سيزيفي.

- ما هي نقطة التحول في حياتك ما هي اللحظة التي غيرتك و صرت ما أنت عليه اليوم؟

: رأفة يا هناك، رأفة يا هنا الوحدة.

- مأساة أم فقط فكرة؟

: منذ الطفولة وأنا هكذا لكن لم يتضخم الأمر مثل الان، حدثت مآسي كثيرة لكني الاحظ الرد ذلك دوما. مهما كانت المأساة أليس ما نحياه حقيقيا و منطقيا وعادلا؟ المأساة تجربة ليست عوار أو علة

- هل هي حقا مأساة أم أنك أنت من جعلتها مأساة؟

: تؤخذ الكآبة على أنها عوار مرضي

- هذا ما كنت سأخبركِ به

: سأكون بهذا العقل وازيف الجمالية المأساوية. لا شيء يغتذي من عدم، المأساة تنشيط. الخوارج فلول داخل.

- غالبا ما ينظر لمأساة على أنها شيء حزين لكني أعتبرها فقط نقطة تحول و بداية تكون ماهية جديدة. المأساة تجربة و انطلاقة سواء سلبية أم إيجابية وفقاً لمعايير التي يفرضها المجتمع. و في نهاية لكل شخص لغة محددة و التي يترجم بها مأساته.

(صمت وصمت وصمت لا يسلبه شيا حتى لو تكلمنا.)

- ارأيت هذه اللحظة كيف هي في الزمن؟

احيانا اذا أتالم اقسو على نفسي اكثر لئلا اشعر بالوهن

: هي لحظاتي كلها

- امسك الجمرة

: لا أشعر بشيء لا جمر، هذه هي المشكلة لا شيء ينشي لا شيء يؤلم، تحجرت

- لأنك متجرد اعتقد

: ربما، لم اعد ابحث عن اسباب، لا يهم

- لكنك مصر على استخدام عقلك

: سانهي الرواية التي اكتبها

- لما لا تنظر فقط

: واذهب للمصح

- كيف تستسيغ هكذا فعل، اذهب لرفيق افضل من مصح

: عزلة تامة، لا يوجد رفاق، لا اطيق احدا

- حيوان، ليس شرطا بشر، كلب او قطة

: لا يوجد فعلا، ربما اقتله، لا ينفع في جواري شيئا، لا احد يقدر على مجاراتي

- لا تشعر بالاسف ؟

: سيغمي عليه، لو أخبرته خمس دقائق من زمن راسي.

لا لم؟

- اسف، يعني هذا جيد على الاقل لا يكسرك

: لدي قدرة على ايلام اي أحد كنت احبه، إن اقترب مني،

- الشعور بالأسف اشد وطئا

: بدون شفقة ولا رحمة، ولا الم حتى ولو قليل لي

- ليست لديك معايير ولا قيم ولا تريد ان تخضع

كيف تعيش؟ أشعر انني محتاج ان اخضع لأي شيء

الانفلات من كل شيء يقود الى اين؟

: لهذا احيا في وحدة، لكي لا أدمر أحدا، لكي يكون احتمال أن ادمر لأني لن اتوانى

- جرب ان تقول نعم

: لا أستطيع، ليست موجودة

- ما ممحاتك؟

: الطاعة وهم للمتجرد

- حقا شيء يحيّر

: كل شيء. أنا أثيره أثير نفيه، وهو يأكل نفسه. العالم هش أكثر مما تعتقد، الأشخاص، الآلهه.

- ترى كل شيء محكوم ب(ليس)؟

: كل شيء محكوم بنفيه، حتى ال. أول الله، وال لا.

- لا شيء يتداعى لأنه لا شيء مرصوص

: لا سيتداعى يُرمموا الخراب بالخلق، لا اعلم لم كل هذا التأويل لعدم

- لعدم؟

: عدم هو الله هو المطلق، أي ان لا يملك هذا المخلوق لعدم اي رصانة، هم احتمالات لبعض.

- أنت تمشي في الشارع وفي الدهاليز وتشعر انك تمشي في بياض

هل رأيت ذلك؟

: كثيرا، أنا لا أمشي، لا احتاج حتى. لن تدمره الا بتدمير نفسك. لا يوجد اشياء تتدمر إلا كاملة، أنا منهم.

- وهو اليس كاملا؟

: السر، الله الغيب المجهول انت انا هم هو هي. السر اغماض لعدم واضح، الصمت، اللغة، الكل، كل الكلمات هو، نحن اللغة. اللغة مني خالص لي، لا تعبر لا تقول. اللغة صامتة دوما، فضلة فقط.

- أذكر انك مرة قلت انك ظللت صامتا لمدة عامين أو أكثر أو أقل

: الأمر أني أتحدث برأسي، أريد أن لا يكون في هاجسي لغة

- جربت هذا، ذلك الصمت. عند كون عيونك فقط هي ما يتحرك

كم هو جميل؟

: تعرفي أنا لو ما أكتب، لقتلت كل من رأيته، بلا أي خوف أو ذنب. هذه الأيام مسعور، مسعور غامضي.

- أنت غير متعلق لما لا تذهب؟ تجول في الارض مشيا

: كلها نقطة، كل شيء منسوخ من نقطة، عميت عنها الممحاة الاولى

- ههه جميل، عميت عنها الممحاة الاولى

: نعم: و"نعم" مجتزأة من ضديتي. أبتعد عن عيون الناس، ممكن يجروا أن رأوا عيناي. عليت الأمر جدا، أُستنزف كل شيء. أشرب بجنون والهيروين والحشيش والبانجو، كل شيء. يجب انهي هذا الخراب قريبا وأذهب لمصح وانتحر هناك. لا اريد أن يحملني أحدا أو يراني أحدا

- يا أخي غني جرب، حاول، غني

: لا شيء يجدي. أنا اجلس، أتجرد إلى نقطة فعليا فعليا، تخيلي نقطة

وكل الخارج نقطة

- اتخيل، كل ما تقول، أحجبة مسدلة بخوف فقط كل سيء. لكلماتك غصّات و حسرات و اختناق و لعب

و مرح و موت و حياة. أُولي لما تقول اهتمام بصدق. طيب لما تثور ضد رؤياك ؟ ضد جهاتك كلها التي تحبها والتي لا؟

: السؤال ليس هذا

- أن تكون باقرا لكل ما رافقك

: السؤال لم هناك بعدا لها؟

- لأنك دائم في الان

: ولم لا أذهب فيه؟

- وفي الاتِ

: الخوف لا أخاف ليس الموت، الموت عبدي، متى تشاء أحضره

- أما سئمت يوما من انك تفهم ما تقول؟ تفهم هذا مثلا

: سيكون العالم مثلي لكن الوقت فقط. أنا سبقته للخراب، لاكتشافه

: لا أعرف ما هذه القدرة، أرى النورفي حلمي لكني تخيل انهش في جلدي واسوده، لا اريده، هذا يحدث

فعليا. اقطع جلدي باظافري وعندما تتكسر اعض جسدي لكي لا أراه. هو يستخدمني فقط لكني باطنه

- انا حلمت انني مشلول و مطروح واحاول ان استجدي واستغيث ولا استطيع الحلم هذا خوّفَني منذ يومين

تعرف معناه؟

: ربما لا أحد حولك يطمئنك

- الرغبة في التلاشي نفسها التي تحدثت عنها سابقا؟

: والشلل والاستغاثة لعدم وجود أي معين، لكن السؤال لم تستغيث؟

أنا لا اخاف في الحلم حتى

- أنا خفت كان الوقت ليلا و انا مطروح في شارع ولا استطيع الحركة والكلام لا يخرج من فمي، اؤولته انني عاجز

: اللغة فعل عجز، النداء، الاستعانة، الاستغاثة، مثلما أكتب لأنها كلها مجاز.

- الحكاية المجازية تروي حكاية فشل التفسير، قالها ناقد

: اللغة كلها مجاز لأنا تريد أن تُفسِر. لم فشل التفسير؟ ولم فشَل التفسير يجعله يؤول؟

- لا اعلم! حقا لم ومن قال ان التفسير فشل؟

- لأنه لا يريد ان ينظر بنسبية؟

: التفسير تأويل لمعطيات واضحة، لكن هكذا أنا حر

- لم نسبية؟

: في المجاز، أنت حر ناقص، لأنك بلا قدرة. أنت مادة وغامض، المادة مقيدة، مهما تحررت في غامضك أنت مقيد. ومجازا، إن تحررت مادة، ماذا ستفعل؟ كل ما لا

تفعله مجازيا، وبعد ذلك، أنت لا تحتاج الغامض، لأنك تفعله، الشمس أنا، ستكون أنت الشمس.

- نعم

: اللغة منحوتة من حسي أولا

- نعم

: وبعد ذلك تطورت

- صحيح

:هل ينتحر البدائي؟ لأنه بلا لغة. الأمر في أي عالم تريد أن تعيش؟

يقتل إنما لا ينتحر، الانتحار رغبة لغوية. اللغة لها أساس كبير جدا، هي بُنَت على خراب والآن فيّ خرّبت الموهوم العمراني لأن التاريخ رص مجازات عاجزة. اللغة ممكن تنقلك لزمن، وممكن تحييك في أبد وممكن تدمر الآن، وممكن تخلق زمنك. ليته لم يُحرِف صمته إلى ممكن، ممكن مجرور على مستحيل.

- أنت قلت ما يلزمني السكوت

(٩)

كنت أعتقد أني لن أعشق ثانية بعد هذا الطيف الأنثوي الذي انتحر، وتزامنت كآبتي مع انسحاب الأنثوي سواء كأمومية أو كمعشوق.

أدخن بشره هذه الأيام ثلاثة علب ولا أنام، الهلاوس الجميلة والبشعة تشتد.

لا أعرف ما أهمية هذا الدمار الذي أفعله بنفسي في تعزيتي؟ كانت السجائر السادة دوما لأني لم أعد أتذوق شيئا. ربما بشكل لاواعي هذا الدخان ارتبط لدي بالدمار والنهاية كون أي شيء يحترق له دخان، ونهاية الدخان انتهائه أو انتهاء جنس كيانه الحالي

منذ الطفولة أحب حرق الاشياء التي تمثل لي قيمة، أحب الوقوف أمام اللهب وتأمله.

خرجت وحيدا بعد اسبوعين من المكوث في البيت وعدم الحديث مع أي أحد على الاطلاق، لا أعرف ما هو شكلي حتى، كسرت المرايا جميعها في الغرفة. كنت أظن المرايا أحيانا تبيع شكل تجاري للظاهر لا شكل حقيقي.

أنا رجل وحيد، متعب، مرهق، ملىء بأشكال الجاذبية للمتألمين، أحيا في رأسي، لا ألتفت لما حولي كثيرا أغلب الأحيان. أركز وأدقق في تفاصيل بسيطة، أشكال شاعرية دوما ليدي في البدء على أذني عندما أضيق بأي صوت يعطل صمتي. رمزيات دلالية أراها للأنثى التي تظهر أنها غنجة حيوية، الأرض، المعنى. حتى في نظراتي، كمية نظراتي لأي أنثى ونحن نتحدث أو لا تفوق نسبة نظراتها لي مباشرة، كدلالة على انشغالي برأسي بدون أن أعي.

أحب أن أراقب نفسي والكثير الكثير قال أني لا أكون موجودا معهم طوال الوقت، رغم وجودي الفيزيائي.

العيون الدامعة مظهر لوجودي، التقزم على المكان والنظرة الحنونة لأي كان يحوي نشوتي التي اختفت.

أفعال وحدة كل أفعالي، ميل الرأس، الهدوء والانفجار بعدها، التحدث القليل المأساوي، المشي ببطء بشكل من الرعب للآخر، عالم وحدة كاملة.

الشرود في الحديث وعدم النظر في العين كثيرا وعند النظر يكون الصمت.

أحب العبث الذي يجر شخصيتين مختلفتان تماما إلى مكان واحد. ليس لهما متن أو ذاكرة فيه.

كان الجنس الذي أمارسه منذ زمن طويل هادىء لكنه الآن اتخذ شكلا عنيفا وأصبح للتعبير عن هروب وتوق للشعور بنشوة لا يمكن أن يشك فيها وهي نشوة الجسد.

العنف من دلالة الوحدة ربما سببا للعنف وله أسباب كون أن أتعالُق مع الآخر أي إثبات لشراكة وأنا وحيد وهذا ربما ينبذ هذه الشراكة داخلي. العنف الذي أمارسه بعد أول مشهد في وجودي وهو البكاء امتد طويلا والنوم بشكل مختلف عن حالة الانطواء في البطن الأولى إلى البطن الثانية.

هبوطي المتكرر من اللغة والابتسام لكن ليس دلالة سعادة أو فرح.

طريقة تقبيلي ظاهرة فيها عدم الرغبة ولكن الالتواء والدفع للمشاعر لهذا الوحيد.

ليس الموضوع هو الجنس نفسه بالنسبة لي أو أن الجنس مهما اكتسى على مر التاريخ الشكل الحيواني إلا أن أصوله أو نسبة كبيرة منه نوازع نفسية ويتجلى ذلك في عدم الجنس السائد في العنف.

غواية الوحيد الذي لا يمكن الدخول لعالمه فيتاق لمسه ويتاق أن يرغب فيها

الوحيد عنيف للدفع، لسماع الصمت، لا يريد حركة الداخل التي تعطل حركة داخله.

الوحيد لا يريد أي تعيين باسم في هذه العلاقة التي مع ذاتي والثقة في اللغة تنتهي، حتى الأشخاص الذين أحبهم لا أسميهم.

أو لأني هارِب من أن كل شيء فعلا غير معين معاندة أني أمارس الان مع أخرى

ثانيا لأنه لا أريد تسمية أخرى، أي امرأة أخرى غيرها التي كانت تتغانج في الألوان مع الفجر.

لا أحب التسمية أكثر من المجازات المفتوحة.

وقفت أمام بعض الزجاج المغبش الذي يمثل واجهة المحلات. كان هناك تناص يظهر وجه منسلخ، احتمالات وجهها التجريدي. كنت أكتشف وجود عالمي في العالم.

خرجت ليرميني العبث في أي شيء، بهوية مختلفة ربما أو بهوية متلاشية، ذهبت لشراء السجائر من محل صغير.

سيدة تلبس دبلة ذهبية، أي متزوجة وبنتها تلعب حول المكان ونادتها بأمي. طلبت منها علبة سجائر وكانت هذه أول كلمات تخرج من أسبوعين من فمي.

عيناي ملتهبة بالشر والهتك، وربما اختفت هذه البراءة النسبية في وجهي من أثر التعب.

ظلت تنظر لي بانتهاك جنسي، ترفع عينها وتغمسها في عيني، استدعاء ربما وهي تعطيني علبة السجائر لمست يدي وغرست بظفرها في جلدي.

نظرت لها هذه المرة بقدرة على التعرية وقلت لها: أين آتيكِ؟

قالت: هكذا فهمت، وضحكت ضحكة غنجة، وقالت :في الشارع الآخر هناك جراج أسكن فيه مع زوجي، هو في العمل، سأغلق وأنتظرك هناك بعد نصف ساعة فقط حاول أن تدعي شيئا أن قال لك أحدا وانت تدخل مثلا

فقاطعتها لا تهتمي سأدير الأمر أنا.

لم يكن الأمر لاأخلاقيا بالنسبة لي ولم يكن يُعيقني زواجها أم لا، هل الخيانة مرتبطة بالزواج؟ و مرتبطة بالجسد خصوصا؟ هو شكل من أشكال الملكية المزعومة.

هي ممكن تحب أحدا، وممكن أن تكلم أحدا وتدلق له باطنها لكن ذلك لا تعتبر خيانة، أشكال مختلفة من السلطوية.

هل يمكن أن يكون ملك شخص بإرادته لمدة طويلة من الزمن لمجرد ورقة وحيز اجتماعي؟ كانت هذه إن أفردتها لأي أحدا ستكون أبلسة مخفية.

لم أكن أفكر في ذلك أكثر من خمس دقائق وبعدها غبت في الجلوس على الرصيف مع هلاوسي وشخوصي.

كنت أشعر بعيون كثيرة في تاريخي في النظر في عيون النساء أن بعضهن تشتهي بنظرة عابرة، كما كنت أفعل وكما كانت تسرد لي جارتنا الشبقة.

أنها ممكن أن تشتهي عابر لمجرد نظرته وتكوين نظرته في عينها وهناك من لم يكن يشتهي إلا بعد الاشتهاء العقلي والشعوري، ليس الأمر معيار عام.

كنت شبقا منذ طفولتي وأثرت أول مرة مارست فيها على ذائقتي الجنسية، لم أكن أشتهي بشكل عام إلا السمراوات من تجاوزوا الثلاثين.

تذكرت أبي الذي كان يلح من شهور أن يزوجني ولكنه الآن يتوقع فسادي وأني زاني ملعون، شبقا لا أكتفي من الجنس أبدا، لا أعرف هل كان ذلك لرغبة نفسية فقط أم جسدية فقط أم كليهما؟

أن أحب، وأن تفسد تصوراتي السوداوية عني؟

أن أشعر بفاعلية وشراكة لو حتى بهذا الشكل فقط لا العاطفي.

لم يكن تُذهب العاطفة أي شبق لدي، لم تكن تتعارض معه في داخلي

لكن المدرَك والمدرَك الذي يُشع من كل شيء أن هذا الشكل شكل مرضي.

(10)

انتهى وقت التخريب الذاتي وحان وقت تخريب العالم بشر صافي مستمد من التعالي.

لا أدين لأحد إلا بالخراب وبعض المحبة غير المستحقة والكثير من الانفجارات.

لطالما شعرت بأني أدين لكل شيء بعزاء، لكني الان لست مهتما مهما تحول قعري لوحل بائس. كنت أحب مراقبة الآخرين، واسعادهم بما لا يعرفوا أنه مني، لكن هذا الشكل السوطي على شعوري انتهى.

الزواج ليس رباط، الحياة نفسها ليس رباط، الجميع مستباح بلا تفكير، كنت أريد الانتحار قبل الوصول لهذه النقطة لكن لنجرب كما جربت الآلهه فينا والمادة والاخرون.

دخلت الى الجراش لم يكن هناك أحدا وكانوا يعيشوا في مكان مقرف بالنسبة لأي أحد، حميمي بالنسبة لي، لأنه مليء بالخراب والزيوت والقمامة

نظرت وقالت: لا تستغرب، هكذا هي حياتنا من سنوات

وتقمصت شخصية روائي مبتذلة: كيف تصطادي؟

قالت برفع الرأس: لا يعجبني الاغلبية، لكني أحب الحزانى من الخارج، لأنهم يكونوا عنيفين في المضجع وانا مازوشية

قلت: وإن كنت غير سادي؟

قالت: أثق أنك لم تُجرب لتعرِف فقط!

فقلت: هل يجب التجربة للمعرفة؟

فقالت: نعم للجسد، يحب التجربة غير هكذا ربما لا، لا أعلم، كيف ستعرف شعورك بشيء لم تجربه؟

فقلت: تفعلي هذا دوما؟

فقالت: ليس دوما، لكن الجنس يعيد لي طاقتي النفسية، يعيني على البقاء وعدم الانتحار، رغم أني لست شبقية بل باردة طوال الوقت

فقلت: لكني عنيف، لم أَجري ذلك سابقا، لكني أعتقد أني ممكن أقتلك

فقالت: أعتقد أن ذلك سيثير في لذة كبيرة مع الاورجازم، لطالما حلمت أني أموت وأنا منتشية

فقلت: اها، وأنا معك

فقالت: تعال.

وجدت ملابسها، لم تكن تلبس إلا جلابية تحتها ملابسها الداخلية، الصدرية المقطعة والسروال كذلك.

دخلت وقفت أمامها أنظر في عينيها على غير هدى، أي كائن هي، هل هي مشابهة لداخلي، أم من سواد الناس؟

ورفعتها فجأة وبهياج، على الكنبة الوحيدة، بدأت في تقبيلها بعنف شد شفتها السفلى بأسناني براحة وبرقة، وساعدتني في خلع ملابسي، لم أكن مهتما لما يمكن أن يحدث، أن اكتشف أحدا شيئا كعادة الأمر لدي.

بدأت في تقييدها بيدي بعد فردهما وولجت بسرعة وبعنف بدون أي خوف أو اهتمام بجرحها، لم تكن خائفة وهذا ساعدني نفسيا أن هناك من لا يخشى الألم في هذا العالم، محاولة إثبات نفسية على فساد الذات الإنسانية ليس التدين فقط وليس الكفر فقط بل الذات نفسها.

(11)

لا نشوة كاملة في الاستمناء، هو أورجازم ناقص، الجنس بلا اخر متفاعل، يدلق نشوته أو فيه أو أي شعور به، وهنا ريما يأتي الكبت.

أتذكر أول مرة استمنيت فيها، كانت غريبة وكان قبلها ممارسة الجنس بدون البلوغ مع إمرأة شبقة، أخذت وقت طويل بعدها في اكتشاف جسدي. لم يكن اغتصابا بل كان مزامنة لشبقها وهي نائمة.

وتلى الأمر الكثير من المرات بعد البلوغ، وربما الجنس ساعد على اكتئابي. تساعد النشوة المتكررة بشكل مفرط على فقد النشوة تلك، وتزامن ذلك مع فقد معنى العالم مع وفاة أمي بالسرطان.

يتم اختبار النشوات أيا كانت باختلاف كبير جدا، وبمثيرات مختلفة وبنوازع مختلفة.

الامر في الاورجازم أنه شكل بلا شكل، مفهوم تختفي فيه اللغة فإن أخبرت أحدا هل جربت الحشيش مرة؟ وقال نعم، هو يعرف نشوة الحشيش مثلا لكن إن قلت له هل جربت الهيروين؟ وقال لا، لن يستطيع تصور هذه النشوة لذلك النشوة لا تعرف إلا بالعيش والمأساة كذلك والشكلان هما من أعماق المشاعر المتداخلة.

ذهبت للجنس ليس دوما للشهوة الجنسية البحتة لأن الأفعال المادية لا ترتبط بالضرورة بأفعالها.

فهناك من يذهب لتغيير المود النفسي، ومن يذهب لتفريغ الطاقة المكبوتة، ومن يذهب للشراكة نفسها ولترك الوحدة، ومن يذهب لكي يشعر أنه محبوبا، ومن يذهب للشعور بالفحولة، الخ

ويمكن ممارسة الجنس بدون أورجازم لشريك أو الاثنين معا، ويمكن الإثارة بدون الدرجة نفسها.

ولا يرتبط الأمر من خلال الحب فقد تنشأ المشاعر من خلال الجنس بدون سابق معرفة ولكن الممارسة في الحب مختلفة كون الحمولة الشعورية والذهنية موجودة بشكل كبير.

والأورجازم الذي وصلت إليه دوما كان مرتبطا بشكل عنيف.

فكل مرة شعرت بالاورجازم كان الأمر مختلفا بشكل كبير عن سابقه، والغريب أن الذي كنت أراقبه دوما هو الحيز في الهاجس ما فيه في هذه الثواني.

أجد ألوانا فقط دوما تتغير كثافتها وأنواعها على حسب درجة الحسية به.

في الجنس هناك دمغات شعورية كثيرا يتم تذكرها ولأن فعل التذكير باهت فعندما يكون الأمر لاقصاه في الاورجازم يكون هو المتذكر الاقوى في الحضور. وأنا أحيا على ذكريات شعورية وصورية كون هناك فروق زمنية بين هذه المدركات القوية المفارقة.

ولا يتكون الجنس من القذف أو الايلاج أو العمل الجسدي الذي ينتج أطفالا فيما بعد، بل من أشكال كثيرة توجد من التجربة، ومن الشركاء المختلفين.

يتم اختبار النشوات الجسدية بدرجة كبيرة من خلال الممارسة والتجريب، سواء أورجازم أو شكل المخدرات، وحتى الميول ليست فقط الجندرية بل نوع المنظور في الشريكة أو الشريك من سمات جسدية، عمرية، شكلية، مظهرية، الخ.

لا يمكن بالنسبة لي إخراج البعد الجسدي من خارج البعد الانساني، لا يمكن التقزيز من الممارسات نفسها، لا من استخدامها على حسب المعايير الإنسانية.

تم تصوير الاورجازم تاريخيا وواقعيا حتى في المحادثات غير الرسمية على أنه انفجار أو دفق كبير، أي هناك فيض، هناك فيض على سعة الإنسان الجمالية.

فهذه الحالات نادرة، حالات الذروة، وربما ما يجعلها بهذه القيمة حاليا هي تدني النشوات الأقل وعدم عيشها لفترة طويلة، فيعتمد الإنسان على حسه.

وجميع الاشكال في الاورجازم خروج ذاتوي من الذات ولو كان أناوي ليس بالضرورة للشريك ولكن الخروج.

التجربة المقلِقة التي جعلتني أسأل الكثير عن الذات والإله والمعنى. رغم أني لم أكن مسلما من الطفولة ولم أكن أستسيغ الكثير ولكن جبرا حتى عندما كنت أصلي كنت لا أتحدث بأي كلمة. ولا مرة صليت بكلام وعندما صليت في جنازة أمي كنت أسب.

مررت باكتئاب بأشكال مختلفة على مدار حياتي، وكان السبب الفقد الذي أحدثته الصدفة، والحاجة إلى مساءلة أحد وعند البحث وعدم ايجاد اي شيء، كان الشكل المنطقي هو التوجه للذات لأكلها بأكملها.

ذهبت لخمسة أطباء، التشخيص كان واحدا، اكتئاب حاد وثنائي القطب، ولكن درجة تطرفه اختلفت ودرجة التأكيد من ما سيضفي من أفعال.

المرة الأولى التي ذهبت لها، لم يكن في هاجسي هذه الأفكار عن مرضية الأمر بشكل مجتمعي، لم أكن

أكترث لهذه القيم الفاسدة، لكني كان لدي شغف بسيط كيف يتم الدخول الى النفس التي جمعها فوضى ومتشددة أكثر في.

كان أبي يظنه مسا شيطانيا أو ركوبا لجن. وكنت أضحك على هذا كثيرا. لم يكن يؤمن بالطب النفسي ولا يعرِف ما هو.

حتى تشاجرنا مرة بعد أن قلت له، استدعي الجن أو الشيطان وابعثه لي فوق لنجلس في غرفتي نشرب الشاي أنا وهو.

ضربني حتى أبعدته أمي عني ولكني لم أحدثه لفترة وقال لها حديثا قطع داخلي عنه إلى نهايته بما فيه" هذا ابنك الذي جلبتيه لي، ولم تجلبي لي غيره، لفساد رحمكِ" كنت أسمع هذا الكلام للمرة الأولى وكنت مشدوها وربما تحول الأمر لعلة أن أمي كانت تحتمِله لأنها تظن أن هذا عيبا فيها.

فكرت ليلتها في سمه أو قتله، ولكي استمعت للتوني.

ولم أنم لمدة ثلاثة أيام كاملة أفكر في الجملة التي قالها وفي حياة أمي.

حتى ذهبت لطبيب بتوجيه من أمي وقالت لي: لا تُخبِر والدك.

أعطاني الطبيب اعلى جرعة فكنت أنام أكثر من ثلاثة عشر ساعة، وأقوم جسدي منهَك ومُهدَم.

لم أنتبه إلى الكثير في خضم هذه الاكتئاب وأنواعه وقد قرأت ما قرات فيه، ولم تغريني أكثر الأشياء بالمفهمة، حتى عدت للبيت لأدخن سيجارة على سطح البيت.

وعاهدت ذاتي عهدا غير منطقي أحنث به بعد مدة أو لا كعادة العهود جميعها من الآخرين، إلى الاتجاه الى الحياة اليومية، إلى المجتمع وكان الأكثر حيوية هي النساء، الجارات، اللاتي كنت أسميهن "أساطير الدلع"، كنت أعرف واحدة منهن، أرداف جهنمية، ووجه تتأرخ فيه الشهوة، النظرة وحدها كفيلة بسعار الرائي. كانت تريد أن تتزوجني قبل أن تتزوج، لأشياء لا تخصني أنا في كنهي، لذلك كنت على حديث معها ليس بشكل دائم لكن بشكل متقطع

حدثتها بعد دلعها على سطح البيت المجاور وهي تمسرح ردفاها في الهواء، ولا ينقص المشهد أي شيء بداخلي

:كيف حالك؟

:بخير يا حبيبي، أين أنت منذ زمن؟ تهملني

:كنت مشغولا بمعدومات

:لن تترك هذه الأشياء الغريبة، ولكنها ما تجذبني لك

:همم، وماذا أيضا، أسطورة الدلع

ضحكت بصوت عالي: طيب أسطورة الدلع تدعوك للمضجع

: هههه، وأنا ألبي الدعوة، لم يعش من يرفض وحيكِ، ويسير في السواد!

:ماذا؟ زوجي قليلا وسيمشي والبيت فارغ

:سأدهسكِ تحتي، أنا عنيف جدا

:تعال يا قاتلي

: لكن لتخبريني عن قصص أساطير الدلع

:لم؟ لأني عطِش لحبكات أخرى للحياة، لتفاصيل..

: تعال وسأخبرك بما تريد

نزلت ببرود شديد وأخذت في طبقتين الكثير من الوقت لامبالي أتحدث في رأسي كالعادة، كل شيء بي كان فوضويا نسبيا غريبا متطرفا، أنتقل بين الامتلاء والفراغ والامتلاء بأشياء أخرى والفراغ والخ

لم أكن أحب مجاورة البشر، ولم أعد أؤمن بنورانية الإنسان ولا يوتوباه، لقد أصبحت أؤمن بالسلعة، هو يريد مني شيئا وانا أريد منه شيئا، تبادل السلع هو العلاقات بين الذات والآخر.

لم أعتد الاتكاء على البشر في النكسات، المخدرات أولى بذلك. البشر عبارة عن مجموعة من الذباب الذي إن حن يعود لطبيعته المفرغة والمقرفة في أوقات أخرى.

الألم تحول إلى طاقة شرية لا يناجزها شيئا ولا يضارعها شيئا، هل كل الشر متنه ألم؟ هل هناك طبيعة لهذه النفس الإنسانية أم أنها فوضى متشددة لا تقبل التشكل أبدا؟

هبطت بلا نظر إلى ما حولي وصعدت إلى بيتها، كانت جاهزة تلبس قميصا للنوم وأدخلتني وقالت

:أخيرا، عذبتني

:لم عذبتك؟

:أنت لا تعرف قيمتي

: أنا لا أعرف قيمة لشيء

: ستعرف الان، تعال لداخلي، نديت من مجرد رؤيتك

أصبحت عنيفا في الجنس مؤخرا، الحالة المضطربة مدلوقة، أريد إيجاد معنى من شريتي ومن عبادتي، ومن تطرفي، لكن لا فرق، إنها نشوة بسيطة أتذوقها في كل شيء فقط.

قلت لها :ستحكي لي أولا

:اجعلها بعد الممارسة

: لا قبلها

: أحن إلى حبكة أخرى، حبكة قوية

: لا أفهم

: أخبريني عن نساء الحارة

: كلهن يمارسن خارج الزواج، واثنتان يمارسن السحاق، تريد معرفة من؟

: لا أريد، لست مهتما، احكي لي أكثر

: والدك أيضا يمارس مع إحداهن

: لست مستغربا

: لكنها لا تحبه، يستغلها بالمال

: اها

: ماذا يجذبك في الرجل؟

: لا أعرف بالتحديد، لكني أنجذب للغريبين، الفوضويين، بلا إرادة أتخيلهم في المضجع

: وزوجكِ؟

:زوجي لا يهمه سوى مهبلي أن يدخل فيه، وان أردت أن يصلي له لفعلت، الرجل، الرجال، يخونوا بالعموم بسرعة، أما المرأة لا، عاطفتها أقوى من رغبتها

: ليس دوما، أنا لا شيء في أقوى، لكني لا أستطيع الوجود في علاقة عاطفية، هذا يقززني، تبادل اي شيء مع أحد لمدة طويلة وخصوصا العاطفة

: لم تكن هكذا؟!

: لم أكن الكثير، وأؤمن بالتغير، أنا سائل في عالم سائل، عدم تطور لمني تطور للكثير

فردت رجلاها على آخرهما وقالت : هيا نبدأ الرحلة، الرحلة على المضجع، أريد تذوقك كلك

خلعت ملابسي وقلت لها اصرخي بقدر ما تستطيعي، ولا تخبيء وجهكِ عن وجهي، أريد أن أراه دوما في الجنس، أحب ذلك

(12)

هذا ما فعلته في نفسك وهذا ما فعلته بك الحقيقة. هذا ما ازدان على وجهك وهذا ما ازدان في قلبك. يرفضك الجميع إن بديت بكلك إلا المرايا الصامتة. لا احد يريد علائقية مع مصلوب ويجهر بكفره بالعالم. لا أحد يرى حقك في عدم رؤية الجمالية فيه أو في العالم. الزهد الكامل أصبح سببا إضافيا في النبذ ونأي الآخرين. هل

الحل في الاعتزال الكامل؟ ولكن أين ستصير في العزلة؟ أنواتهم تحجبهم عن فهمك والتحرش بعوالمك الغريبة. السدر تغلق كلها في وجهي، الاحرام ولم يعد لي زيت. من يعرفك ومن لا يعرفك يجهلونك، لقد دمرت سيكولوجية النسخ سيكولوجية المختلف في التصور. أين ستذهب بكل تصوراتك؟ لا ورقة تحتمل، أصبحت مستعدا أن تفقد أي أحد في أي وقت.

لا تخفف أبدا من ثوريتك أمام كل شيء، لا تخفف من قولك للحقيقة بالنسبة لك، مهما كانت قاسية وهادمة، لقد قرأت في الادب كثيرا ولكني لم أرى هكذا سيكولوجية، يظنون أني مغرورا لأني لا أعير قيمة لقيمهم، يبتعدوا لأني بلا عوز لشيء إلا لسكيني.

لا تخفف أبدا من ثوريتك أمام كل شيء، لا تخفف من قولك للحقيقة بالنسبة لك، مهما كانت قاسية وهادمة، لقد قرأت في الادب كثيرا ولكني لم أرى هكذا سيكولوجية، يظنون أني مغرورا لأني لا أعير قيمة لقيمهم، يبتعدوا لأني بلا عوز لشيء إلا لسكيني.

لا يعرفون كيف هي حياتك الداخلية ولا ما تعاني منه ولا ما يختلج في هذه الاعماق ويظنون الادب كما يمارسه مفارق عن الشخصية. إنك أحيانا لا تقدر على

المشي لأنك لا تصدق فعلا أنك غير طائر، أحيانا تقف في الشارع وتختبر وزنك وترفع يديك، أحيانا ترى في حلمك ما يسميه العالم رؤى ولكنك لا تدعي نبوة وتؤولها بهذيانات. إلى متى تكبت سطوتك على الهباءات في أفمام الدعاة عنك بهوية أخرى؟

لا أحد يعرف أن كل ما كتبته من ألم هو ما حولك لذلك وأنك لا تلوم أحدا سوى التكوين. لا أحد يريدك أن تعبر عن معاناتك لأنهم لا يريدون رؤية بشاعة الجوهر المشترك معهم.

خرجت من سجون كثيرة ولكن لم تتدرب على الجنون أو الانتحار أو الشر، ربما هذا ما ينقصك.

بعد أن كتبتها رميتها على الأرض ورحلت إلى بيتي الجديد رغم أني لا أعتقد بملكية شيء.

(13)

لم أعد إلى بيت أبي ثانية وصرت في بيت صديقي دوما، أجلس في الغرفة التي كنا نتشارك فيها الأحاديث. بحثت في البيت كله بعد أكثر من أسبوع لم افتح أي باب ولم أطلع إلى الأدوار العليا عن ورقة أخرى لكني لم اجد أي كتب أو أوراق، لا أعرف هل تخلص من كل ما هو مكتوب عليه أم ماذا؟

لم أجد إلا حمامه على سطح البيت مذبوحا كله وغربان كثيرة تأكل منه.

هبطت أنظر إلى الجدران التي كثيرا ما لعبنا وسطها، حتى سمعِت نداء أبي في الأسفل.

نزلت له لا طاقة فيّ للحديث ولا للشجار ولا لشيء وربما حاجتي لإسكاته تتعدى قتله حتى.

أبي بابتسامة صفراء: ها ورثت الكثير وليس عنيّ المال يُغيِر، نسيت أبيك

أنا: ماذا تريد؟

أبي: أريد ابني حبيبي

أنا: وأنا لا أريدك، اخرج من هنا

أبي: اهدأ ورث كثيرا، وأنا محتاج ونريد توسِعة المسجد بهذا البيت وأقارب الشيخ يريدون تركتهم للتبرع بها

أنا: ليس هناك تركة لهم، كل شيء ملكي ولن أتبرع بشيء، اخرج من هنا، ولا تأتي هنا ثانية

أبي: لم أنت عنيف هكذا؟

فغرقت في الضحك: تتحدث بهدوء، ههه، افعل ما يحلو لك ولكن بعيدا عني وأغلقت الباب

كان تحت البيت ينظر، عيناه متقده حمراء، ولكنها منادِية، هذا هو من أخبرني وقال لي "ستُجَن" وجرى.

هبطت سريعا إلى الشارع أنظر ولكني لم أجده، وتهت في رأسي، هل هو أم أني بدأت في التخييل ورؤية الأشخاص مرة أخرى من ذاكرتي المليئة بالطيوف؟ وترددت هل أفعل ذلك للتعزية للحديث لإيناس ذاتي بمن أعرف ولو بقدر بسيط.

لم اعد أعرف الفروق الجوهرية بين اولاقعي والتخييلي.

عدت للبيت وأنا أدخل نادني الشيخ شمس، وقفت أنظر له، مدامعي مليئة بالملح الجاف ولا حجب فيّ أمام هذا القلب الصافي. مشيت له خطوتين ووقعت.

لم اكن أشعر بقدمي، جرى نحوي وأسندني ببطء وأدخلني إلى البيت وجلس يدلك لي ثدمي بلا بخل من عينيه بلحنان وهو ينظر لي

قلت له كعادتي في دفع المساعدة: أنا بخير، لا تقلق، فقط السماوات تزداد اتساعا والأرض تنحصر

قال: لم لا تأتي معي؟

قلت: لم يعد يجزي الأمر- لقد حان أوان هجر الأرض وعيشها، الفتوة في الزهد والتخلي

قال: أنت أدركت الكثير ولكنك لازلت صغيرا، أعلم العمر زمن خاطىء ولكن يا بني لا تهجر وبك رحمت لازلت ألمسها وأشعرها نحو كل شيء

قلت: أريد فقط أن أطوف في حضرة هنا

قال: تعال إلى الحسين، هناك حضرة غدا

قلت: أريد أن أطوف هنا على الدم الجاف له

قال: سمعت عن انتحاره، لكنك تعلم السلفية هنا وقوتهم، لم يُسمَح بحضرات هنا منذ موت شيخنا والد صديقك

قلت: أعلم ذلك جيدا، دعني أخبرك قريبا بالمعاد وليس لكم علاقة بالمسجد، هنا أما البيت

قال: هل تريد... ؟

نظرت له وأنا أدمع: سأقوم لانام، البيت بيتك

قمت ببطء وأستند على ما حولي، والعالم يدور حتى لففت وجهي فحضنني من الخلف

وقال لي: أنا معك دوما

نمت على الكنبة التي كنت نجلس عليها، والشباك مفتوح يبث نسمات قليلة كل بعض الدقائق، كان كل الذاكرة تتجلى أمام عيني ولا أتذكر متى نمت، لكني استيقظت على صوت أسفل الشباك يردد شعري، قمت بعدها بقليل أتسند ونظرت فوجدته هو.

لم أقترب منه بهذا القرب من قبل، كان وجهه جميلا جدا لكنه متهدل، متعب، لا حياة فيه إلا في عينه ولججها البعيدة .

فقال: أعرف انتحار صديقك، كنت اشهده وهو يفعلها وأنا من أغمض عينه بعد وقوعه على الرصيف

وقفت مشدوها، لا أعرف ماذا أقول، المتكلَم كله خائخ، والإحسان إلى صمتي أفضل.

فقال لي: أعلم أنك تتذكرني، لا أحد ينسى أحدا يقول له أنه سيجن.

قلت له: أتذكرك

قال: أنت محاط بالمنتحرين والمنتحرات

قلت له: ماذا تقصد؟

قال: هذه المرأة الخلاسية على السطح

قلت له: من أدراك بكل هذا؟ وكيف تعرفها؟ وتعرفني؟ هل تراقبني؟

قال: لا تقلق، لا أحد يعرف شيئا، إنها أختي

خفق صدري بقوة شديدة لم أعهدها من قبل، وتذكرت نور الفجر على وجهها

قال: لقد حدثتني عنك، لكن الألم كان أقوى من الوصل، كالعادة

قلت: من أنتم؟

قال: نحن أشباهك، فقط العلل مختلفة

قلت: يعني هي ليست خيالا وكانت تطلع على سطح البيت وانت من وجدوا ملابسه في المكان

قال: ومن يومها لم أذهب هناك

قلت: والان، لم تبشرني بالجنون؟

قال: لان هناك إشارات عليك بالأمر، كنت امر بها أنا، لا تقلق، لا أنعتك به لأدنسك أو أدنيك

قلت: وما هي الإشارات تلك؟

قال: ترك اللغة، الألم الشديد، الوحدة المطلقة، والضجر من الأنفاس، والشغف بالتخييل فقط

قلت: وماذا تريد مني؟

قال: هل أنت خائف؟ لا أقصد مني بل من ترك نفسك

قلت: لست خائفا من شيء

قال: انزل وهيا بنا

قلت: إلى أين؟

قال: وهل ستفرق الأمكنة؟

نظرت له ونزلت إلى الشارع، لأول مرة كنت فرحا بدقة بتعريف الفرح كشكل من أشكال الاختلاف

قال: سأريك عورات المدينة والناس، هذا الإنسان وحش كبير

قلت: وما جعلك هكذا؟

غرق في الضحك وقال: كل شيء، بدأ الأمر بعد أن أخبرتني أمي أني وأختي لسنا أولادها هه، هي كانت تحتضر ولا أعرف لم قالت أنا ذلك، لكنها الخير المزعوم بالأمانة التي تدمر

دعك إنها مأساة

تعال انظر في المسجد من هذا الثقب، تعال

قلت له: ماذا هناك؟

قال: أنظر ولا تسال كثيرا

صعدت على المصطبة ونظرت وجدت شيخا يحفظ القرآن ويمسك خاصرة طفلة متحرشا، جريت نحو باب المسجد حتى أمسكني

وقال: من أنت لتحرم الآخرين من آلامهم؟

دفعته بقوة فأمسكني وبدأنا في العراك، والضرب، كان قويا جدا، خبطته فقال لي: من تظن نفسك؟

خبطته ثانية

فقال: إنه عالم مقرف، وأنت منه

خبطته ثانية

قال: إن أردت لقتلتك، ألم تُرد قتل أحد في حياتك؟

جلست على المصطبة منهكا حتى قال: دع هذه الإنسانية، هذه فكرة، خيال غير حقيقي

وتذكرت حلمي الذي خرجت فيه كتلة بيضاء كبيرة مني ورُميَت في الشارع وكان وعيي معها وجسدي رماد ملتحم في الأعلى وجاء كائنا يدب بشاكوش عليها ولكنه لم يستطع كسرها حتى جلس على المصطبة يبكي.

قال لي وهو يقترب: عليك أن تتخلص من هذا، إنه كل ما يقرِف، لازالت هناك عورات في المدينة، عورات في الإنسان، عليك أن تراها

جلس بجواري وأشعل سيجارة وبدأت ينظر في المكان بإعجاب ويقول:

لا تُقاوم إلا م ينحو لتعقيلك، إلا ما يمنعك عن جنونك، وممارسته، إنه جنسك

قلت: كانت شدتي الكبرى مع المعنى لا مع الآخر ولا مع المجتمع، كانت شدني بلا أي رقة. أجد العدم في أصل الاشياء جميعها، ولا أبغي خالفا وأفرده لخوف أو لتلبيس معناي ومعنى كل شيء. يقول الكثير عش حياتك، ولا أعرف ما هذه الحياة التي يحيونها، إن النشوات القليلة في هذا الخراب تساوي كل النشوات التي شعرت بها في السجن.

قال: المعنى يخاف منه الكثير، يخاف الغرق فيه، لأنه مثل هواء عادي لكنه ملون، مُنشِي لكن بعد فترة كبيرة من الألم، والتصورات فيه صعبة المنال لذلك يركن الناس للحسي واليومي سواء كشغف واقعي أو كشغف قرائي أو ابداعي.

قلت: كنت أكتب أفضل أن أقابل مجنونا عن أن أقرأ عنه، أفضل أن أعيش أنا الجنون على أن أقابل مجنونا. وهذا فرق جوهري بين أقليتي التي على هامش الهوامش وبين الذين في النور وفي الهامش الاول والثاني.. ليس الأمر هو الجمال على الاريكة، الجمال الذي أقدره، هو الذي يكلف حتى لو كل شيء.

قال: لا تُوجد هوية دنِسة

وصمت قليلا وقال: تريد أن تكتب؟ أعلم ذلك، اكتب

وقام يبحث عن ورقة ونظر لي وقال معي قلم، وجد ورقة جرائد قديمة قديمة وأعطاني إياها

حتى كتبت: "نص يتلو نصا بلا أي تغيير في داخلي، لا أعرف ماذا أفعل بالعالم؟ ليست صرخة تشاؤمية بل صرخة تساؤلية. لا أتغذى على أي شيء سوى متخيلات والشعر ليس تطاحن يدي، هل يحيا هكذا

جميع الشعراء؟ أم إن الأمر تطرف ذاتي وملكة تدميرية؟ أصبحت أجلس بالساعات في المقهى أدخن السجائر وأنظر للشارع ولا كوة تنفتح ولا نصل يمشي لشرياني. أغيب وسط مدلهمات ونورانيات غريبة، أتأرجح بين الذوات المعذبة ولا مألوف، أشعر أني أتبدل لهوية أخرى كل لحظة، هوية رؤيوية. ربما الثورة العارمة شرخت أي مضي بجوار أي أحد وأي ضم ممكن أو غير ممكن لذاتي. لا ألوم أي أحد على أي شيء، قسوة الآخرين من جنس الانوجاد البائس ورهافتي وقسوتي من جنس الوحدة. نحن مخلوقات سيارة في عوالم، طاقتها من أوج الجنون والعبث.

تقول كلاما محرما في رأسك وفي المقاهي ومطاعم المعنى للعاديين هي السلطات، كان الأمر مرذولا بالنسبة لهم، كل ما أفعل، نظراتي الحادة ونبرة حديثي، كان يريد ذنبا أحمله حتى لو قلت ما أقول، لكن أن لا تحمل ذنبا، وأن تتحدث بطبيعة كما يقولون كلامهم العادي، كان الأمر غريبا بالنسبة لهم أكثر.

هل هناك نشوة بالنعت بالغرابة؟ هل ذلك يؤسس الشعور بالوحدة أكثر؟ ربما كان ذلك فعلا هكذا وربما كانت وهما مثل الوهوم الكثيرة، لكن ما هو الوهم؟ هل

هو اللامنطقية الساذجة فقط؟ أم أنه كل شيء؟ وإن كان كل شيء، ما هو المعيار للحقيقة الذي جعلني أنعت الاشياء بالوهوم؟ حديثي مع اللغة لم يعد يفيد، لم تعد تعطيني شيئا إلى قوة للانتحار من كثرة الانفصام الذي فعلته.

حللت كل شيء حتى الورقة التي توجد في علبة السجائر والتي أحيانا أستعملها "بفرة"

إن تحررت في الدرب تنتشي وإن عبرت عن حريتك تتدمر، ليس العالم مهما كان عزليا لي، يوجد آخر يسيطر ويحكم حتى لو لم يكن يحكم في بنسبة مثل الأشخاص الأخرى.

آخرتي في اللغة وِمن اللغة، آخرتي من مجازاتي، من لالغتي، غنائم الجنون والسكر.

الذين يعرفوني لا يعرفون حجم السيطرة التي يفعلها عقلي لاإراديا لعدم فقد اللغة معهم، ومعي، الجنون أمة الصموت

أشف الجنون وأصفاه هو أن تُجِن نفسك وتحيا هذا الطور من اللعب في حسك المجرد، لا أن تولد مجنونا.

كل خيال خيلته مهما كان يوتويي، بشعني وألمني في نهاية طوره في باطني وفي كلمتي، رغم أني لا أمتلكه ولا أحاول ذلك أبدا بل أغذية وأعطيه من كلي، وأشف سطحه وقعره ليكون مرآة لنفسه والعالم ولكن الطيف خوان بطبيعته، ولا يمكن أن تسأل أحدا إلا دوبامين الجنون.

أظن أن من علامات الجنون هو عدم وجود في الهاجس كلام عادي، وامتلاءه بالشعر والمجاز.

لم تفسد فوضاي سجية الأنظمة حولي، ظللت أحفر في الأركان والابعاد، بحثا عن فساد الشكل والنظم ووجدت أن كل موضوع النظام هو الفوضى.

المجنون هو من لا غريب عنده والعاقل من لا شعر فيه."

وقلت له: لا أريد أي شيء، فقط أكون مطمئنا، هل هذا كثير جدا؟

كان العدم هو الشبح الأكبر بالنسبة لي، ليس العدم الاخير، لأنه لا زمن، بل العدم الحالي، فراغ الوجود من الوجود، فراغي من الذات، فراغي من اللغة، من المشاعر، وهذا صعب في الحصول على راحة ولو

لثواني معدودة، لأن اضطرابا أعنف يحدث، اضطرابا كما يسميه العالم. ربما يغش باطني من جوهر العالم الفوضى، ربما يوجد بها فقط.

كان هو جالس ينفث سيجارته ويده ترتعش عليها وبدأ بالحديث. حديثه مضطربا جدا، الحروف تخرج عنوة: أي قسم بشيء يزيل الصقيع الذي لم ينتهي منذ وجدت، أي قسم حتى يخففه؟

فُتَح باب المسجد، وخرجت الأطفال والشيخ، كان الشيخ مبتسما، نظر إلينا باستغراب وقال: السلام عليكم

فغرقنا أنا وهو بالتزامن في الضحك حتى عبرت الأطفال فسكت وأنا أنظر لهم وسكت هو أيضا.

(14)

العذاب في التفلسف لا في الاطمئنان إلى كل الموروث، وهذا التفلسف فعل عقلي ذاتوي، ممكن يجرحه كتاب أو شخص أو صدمة نفسية.. الخ، فلا يمكن نعت المتفكرين والذين لديهم رؤية أخرى للعالم بالكسل، فالكسل في تبني وجهات نظر البيولوجيا الجسدية والنفسية والاجتماعية..الخ

على حسب البيولوجيا أنا
حيوان(مثقف،متدين،معلمن،..)

على حسب الدين أنا

(عبد، ابن الله، نكرة، ..)

على حسب المجاز أنا

(الوجود، العدم، المطلق..)

على حسب اللغة أنا

(مسمى، دلالة تائهة)

على حسب مدمج كل شيء في أنا

(أثير، هيولي،.. كل ما تلاشى)

حدثت الشيخ شمس واتفقنا على أن تكون الحضرة اليوم أمام البيت بعد العصر، كان هناك جمع كبير أتى معه، بخضارهم الجميل الذي يرمز للحياة التي ليست فيّ.

كنت هادئا على غير العادة، هدوءا مقززا، كأن الحياة انتهت مني ولم يتبقى سوى اختيار نوع الوداع والانتحار.

كان هو نائما أمامي، يتفوه بكلمات متفرقة بعيدة المواضيع. وكنت أشعر أن الكلمات تخرج منه كأنها قيء ليس في نومه فقط، بل في حديثه العادي.

يبذل مجهودا كبيرا للحديث، مجهودا ليس به، كأنه يُقاوم تحريك لسانه وصوته.

أتوقع قدوم أبي وأصدقائه وبالفعل تسللوا واحدا تلو الآخر.

الشيخ شمس قلِقا من وجودهم الساكن ومن وقوفهم بعيدا ينظرون وعيونهم مُستشيطة غضبا.

بدأ الدف بالعمل وبدأت المدائح، والصوت يعلو قليلا قليلا، يدعو جسدي الهزيل للرقص والطواف. ظللت أقاوم حتى شممت جرعة كبيرة من الهيروين المتبقي.

ومنذ أيام وأنا أداوم على شمه، أول ما أستيقظ لكي أستطيع القيام من سريري وفي العصر لكي أستطع الكتابة وفي المساء لكي أستطيع النوم.

الهيروين يُوازن عدم نشوتي أو عدم قدرتي على النشوة بالمعنى.

يثقل الحشيش الوعي، يفكه الكحول، يُشذره الهيروين، يخلقه الشعر.

هذه الجرعة كفيل بقتلي ببعض الجهد الجسدي، هذا الإكسير الذي سينقلني، هل سأموت بلا نشوة؟ أريد وداع الخالية بنشوة.

وخرجت أتطوح، أشعر برجلي خفيفة، قدم أبي نحوي عندما رآني وعلِم أني من دعيتهم ليشدني ولكني دفعته ودخلت إلى داخل الطوافين.

فقدموا خلفه ووقفوا قليلا حتى بدءوا في دفعهم ومسكي، ثار الطوافين، وعَلي الصوت وبدأت المعركة، ولم تتوقف الدفوف عن عملها.

كانت الموسيقى تشحن الجميع بالعنف وتشحني بالحركة أكثر لكي يتوقف قلبي.

حتى وقعت على الدم الجاف لصديقي على الأرض.

*الهوامش

كان ولازال المرض إشكالية فلسفية دوما تمس الغالبية من الأفكار إن لم تكن جميعها، مهما كانت درجة الوعي، درجة المعرفة، درجة الإيمان.. إلخ. وليس الأمر للمريض فقط ولكن لكل من يُدركه. يثير تساؤلا، أو ألما، أو حنقا، أو حزنا.. الخ. ويُغير في النظرة للعالم لأسباب منها:

١. أن المرض في أنواع معينة يقود إلى الموت الذي هو هاجس أساسي للغالبية

٢. أن المرض من صفات وجوده الألم، الشعور الجوهري، الذي لا يمكن معرفته احتمالاته الفكرية أو الشعورية
٣. المفاهيم التي يُحركها المرض من الحرية، السؤال عن المطلق، العلل، الأخلاق، الصدفة وكثير من المفاهيم

مع التقدم العلمي حتى لم تعد الأسباب المنطقية للأمراض دافعا للتقبل مع وجود الكثير من الأمراض التي لم يُكتَشَف سببها. والمرض النفسي له خصوصية بين هذه الأمراض كونه لا يتعلق في الشكل السائد للمفاهيم بالمحسوس بالنسبة للطبيب أو بالشكوى العضوية.

وهذا التأثر يتعلق بجميع الأمراض بأنواعها، إما المرض العقلي أو العصبي أو البيولوجي وهناك فروق جوهرية بينهما

فالصرع رغم شيوعه ووجوده كشكل من أشكال المرض العقلي، هو مثلا مرض عصبي" الصرع هو مرض في الدماغ حيث لا ترسل الخلايا العصبية إشارات بشكل صحيح، مما يسبب النوبات. النوبات هي اندفاعات غير منضبطة من الأنشطة الكهربائية

التي تغير الأحاسيس والسلوكيات والوعي وحركات العضلات." [١]

ولأن التعريفات الخاصة بأشكال كثيرة اجتماعية، فلسفية، نفسية.. تختلف باختلاف المجتمع، يُنعت أي أحد يثير شكل من أشكال الغرابة - والغرابة أيضا مفهوم نسبي بين المجتمعات- بالجنون، تم لصق المرض العقلي بالجنون فقط وهذه الدلالة للجنون ليس لها علاقة بالمفهوم الطبي." تتأثر تعريفات المرض العقلي أيضًا بالأيديولوجية الفكرية والمناخ السياسي والتطور المجتمعي الحديث." [٢]

ولكن هذا النعت وغيره المماثل لدفع عدم الفهم الذي يحوم حول فعل الآخر الغريب والحماية النفسية. فالحماية الذاتية أصل أغلب التصانيف كونها تدفع لاواعيا التفكير والفهم لهذا الذي يتم تصنيفه خوفا من التيه أو وجود هذا البعد فيه.

وفي القديم بسبب طبيعة المجتمعات الدينية وتأويل الغامض بشكل ميتافيزيقي كانت الأمراض العقلية حديثا والمعادل لها قديما فقط الجنون. "كانت أول محاولة معروفة لتصنيف الاضطرابات النفسية في

[١] https://my.clevelandclinic.org/health/diseases/17636-epilepsy
[٢] Lia Ahonen Violence and Mental Illness An Overview,p 16

مصر القديمة ، قرب نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد."[٣]

ولكنها كانت تصنف على أنها إثم ديني ل"المجنون" كعقاب من الالهه بوجود روح شريرة تُسيطِر عليه.

ولقد تم استخدام الأديان على اختلافها بسبب قلة المعلومات والرغبة في الكشف ما يُسميه موسكوفيسي "سيرورة الترسيخ" "وهي سيرورة يحاول الأفراد من خلالها إدماج المعلومات الجديدة بالموضوع في نسق مرجعي موجود سلفا"[٤]

ولم يكن هناك أنساقا موجودة غير الأديان ولازال هذا يحدث في بعض المجتمعات الذي لازالت لا تتعرف على الطب النفسي أو ترفضه إما لجهل معرفي وإما لثقة مطلقة في أديانها الشمولية. وإما لأسباب اجتماعية كون المرض العقلي أو الجنون عارعلى مستويات كثيرة للشخص ومجاوريه.

فتصنيفه بسكن روحه شيطان هو طريقة بعيدة لكي يثبت صحته العقلية مع عارض شري من آخر في

---

[٣] Karl Menninger, Martin Mayman and Paul Pruyser, The Vital Balance 420–489 (1963); George Mora, Historical and Theoretical Trends in Psychiatry, 1

[٤] Blanc N. et autres, Op.cit.,pp. 19-20

حسد أو غيره. لأن الهاجس الاجتماعي بأبعاده يُسيطِر على هاجس الإنسان.

المرض العقلي كتعريف مطروح

"الاضطراب العقلي هو متلازمة مصنَفة باضطراب في عاطفة وإدراك الفرد، أو السلوك الذي يعكس اختلال وظيفي في النفسية والبيولوجية، أو العمليات التنموية الكامنة وراء الأداء العقلي. الاضطرابات العقلية عادة ما يرتبط بضيق شديد في الأنشطة الاجتماعية أو المهنية أو غيرها من الأنشطة المهمة. الاستجابة المتوقعة أو الثقافية لضغوط شائعة أو فقد، مثل وفاة أحد الأحباء، ليست اضطرابًا عقليًا. انحراف اجتماعي سلوكي (على سبيل المثال ، سياسي أو ديني أو جنسي) والصراعات التي هي في الأساس بين الفرد والمجتمع ليست اضطرابات عقلية إلا إذا كان الانحراف أو الصراع ناتج عن خلل وظيفي في الفرد ، كما هو موصوف أعلاه " [٥]

وبهذا التعريف الذي ليس له علاقة في الأحاديث الاجتماعية أو التعليقات الدقيقة من الأطراف كعادة هذه الأحاديث من حضور الأناوي لا الحقيقي العلمي.

---

[٥] (American Psychiatric Association. (2013

والإرث الثقافي والاجتماعي الحاضر والمركب بين المجتمعات وفي المجتمع الواحد. وهكذا هي كل المفاهيم فالمنطق الذي يُنعَت في المجتمع هذا يختلف عن ذاك وغير بنسب كبيرة عن المنطق الأرسطي أو الصوري.. إلخ، وهذا المنطق غالبا ما يصور السبب والنتيجة فقط من وجهة نظر القائل. والمنطق هنا معيار للنعت أو للتصنيف بالجنون أو المرض العقلي. فالتطور الأخلاقي غير متزامن بين المجتمعات وداخل المجتمعات كذلك فما في مجتمع ما أخلاقي أو مباح أو محرم ليس بالضرورة في كل المجتمعات هكذا وذلك الاختلاف أس في العلوم الإنسانية، لأنه يحدد المعايير المقَاس عليها.

"تنشأ الصعوبات عند محاولة ذلك جعل التطور الأخلاقي عالميًا لأن الفكرة بأكملها تستند إلى ما يعتبر معايير أخلاقية في سياق مجتمعي معين."[٦]

ولم يكن المرض النفسي أو المعادل التاريخي الجنون في الأديان القديمة فقط يؤخذ بميتافيزقية ولكن أيضا في الأديان الإبراهيمية

[٦] Ahonen, L. (2012). Changing behaviors or behavioral change? A study of moral development and transbehavioral processes in juvenile institutional care

" من بين جميع الانتصارات التي حققها العلم للإنسانية، كان القليل منها بعيد المدى في التأثيرات الجيدة من العلاج الحديث للمجنون .... فمن ناحية ، فلسفات مختلفة، الأصولية لبعض أنواع اللاهوت، والتأويل الحرفي لمختلف الكتب المقدسة، كلها محوية في عقيدة أن الجنون هو في الأساس سيطرة شيطانية أو إلى حد كبير ؛ على الجانب الآخر وقف العلم ، متراكمًا تدريجيًا بالبراهين على أن الجنون هو دائمًا نتيجة مرض جسدي.[٧]

التاريخ النفسي للمفارقة عند العرب

كان العرب يؤولون ما لا يفهموه من حيث المفارقة إلى الجن، وكان الشعر كمفهوم أساسي مفارق في طبيعة مجتمع ما قبل الإسلام واحدا من هؤلاء. فذكروا أن لكل شاعر شيطانه "أصلهم من ولد إبليس، فمن كان منهم كافرا سمي شيطانا، وإلا فهو جني" [٨] وأنه يمس من أرض عبقر ومن هنا تأسيس لفظ " عبقرية" وامتد الأمر إلى ما بعد الإسلام كذلك. فظهر ما يُسمَى بأدب

[٧] Draper JW. History of the conflict between religion and science. New York: D. Appleton and Company; 1878.

[٨] ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخار، قام على نشره: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وراجعه: قصي الخطيب، ط الأولى، ج ٦، القاهرة، دار الريان، ص ٣٩٥

الجن مثل الجاحظ في الحيوان والشبلي و ابن أبي الدنيا والخرائطي والمرزباني.

النعت بالجنون أو السحر أو الشعر

" وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُون" سورة الحجر

والنعت بالمشابهة الوجودية لشيء لا يفهموه، يعني حصول المفارقة في "المشَبَه"، وتم نعته أيضا بالشعر الذي يوجد أصل

له كما وضحنا في "الجن" والتي أصلها اللغوي مشترك من "ج ن ن".

الأجهزة المنطقية في الجميع

كل له جهاز لامنطقي من المفاهيم، وإن لم يكن لديه بشكل ظاهر فهو يعتقد في أجهزة لامنطقية أخرى، أنتجها شخصيات لها مساس مع المفاهيم التي تتحرك فيها التجريدات الاولى للعالم، إما بالإعجاز أو المفارقة، أو التخييل، أو الهوى الأدبي المنشِي، أو الفني أو السينمائي. لذلك لا يمكن التصنيف القيمي منطقيا. وهذا التصنيف القيمي هو تصنيف يحط من القيمة الكلية للمصَنَف هذا أو ذاك. ولا يمكن أيضا

تجريده عن المرض ببعده العلمي لكن استخدام ذلك هو الأمر سواء اجتماعيا أو أناويا.. الخ

باتاي عن جنون نيتشه

"الحدود موجودة في كل مكان، من أكثر الخطوط دنيوية المرسومة على صفحة بيضاء، للحدود المعقدة، للسحابة والسماء" [1]

لكن هل يتخطى البعض الحدود تلك؟ ولم يتخطوها؟ وهل هو نوع من خلق الجنون أو نوعا منه؟

تمايز الجنون

لقد تميز الجنون على غيره من النعوت الأخرى المرضية أو العبقرية أو المفارِقة أو الرعب أو العنف.. ففيه صور الاختلاف والغموض والتفلسف والشطط والشطح والشاعرية.. حتى في الأحاديث اليومية.

تم نعت الأنبياء به والفلاسفة والشعراء وجنونهم غير الجنون الذي يمكن أن يكون سببه بيولوجيا في الأساس.

يتم النعت به ولكن من ينعت لا يتذوق الأمر أو لا يدخله، يتم القراءة عنه لكن يتم الابتعاد عن شخوصه. يتم الاعجاب لكن يتم النبذ إن كان قريبا.

ويتم الابتعاد عنه بسبب الخوف والرعب و مستويات كثيرة في تلقيه.

وهذا الجنون يتم تناوله من وجهات نظر معرفية كثيرة منها علم النفس وعلم الاجتماع بأنواعه والفلسفة بأنواعها.. إلخ.

الجنون وعلم النفس الاجتماعي

وهذا التناول من وجهة معينة يساعد على إفراز أسباب ونتائج مختلفة فعلم النفس الاجتماعي التاريخي يقول بأن الجنون أسبابه من العلاقات

الشخصية وأنه لا يثق في الأفكار والمشاعر نفسها للتعبير عن ذاته.

الفرق بين المريض العقلي والشخص العادي

" بالأحرى، الأشخاص العاديون لديهم نفس الشيء مثل المرضى العقليين : الأوهام والشكوك. أوهام المتن، والأفكار الوسواسية، والخوف، وما إلى ذلك. ولكن من كل هذا، فإن التسلسل الهرمي للنظام بأكمله، مختلف." [2]

فالأمر ليس في وجود الشكل العادي للتغير النفسي بل الأمر له أبعاد بيولوجية واجتماعية ومعرفية وإلخ. وحصر الأمر في بعد واحد شكل تعسفي.

فعلم الاجتماع النفسي يرد الأمر إلى الاجتماع كأكبر شكل مؤثر على الأمر. "تتمثل النقطة الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي التاريخي في أن السمات النفسية العامة تكون دائمًا مضمنة في سياق اجتماعي ملموس وتجسد طابعها الاجتماعي." [3]

جنون نيتشه وتأويلات باتاي

جُن نيتشه وتغذت الفلسفة، هل يا ترى يقوم المعنى على الألم فقط؟ انتحرت سيلفيا بلاث ونستمتع بجماليتها الآن. هل يمكن خلو الجوهر من الجنون والانتحار؟ كما يقول باتاي عن جنون نيتشه" جنونه بدلا عنا" [4]

ولكن لم تتغذى الفلسفة على الجنون والألم فقط، تغذت على أمور كثيرة أخرى بأشكال مختلِفة، على المدن لفاضلة، الواقع، الأديان، الحروب، الثورات..إلخ. إخراج المخاوف من حيز المباحث المعرفة يُدِلل على الأصول التي تُوجَد في الجميع.

ولكن هل يمكن تخليص أو تجريدهما جوهريا في إبداعهما وهما شكلان يقاومهما صاحبهما طوال حياته ويستسلم أو يكونهما(الجنون أو الانتحار)؟

هل اتحدوا بالجنون والموت حتى صاروا صوتهما؟ "لحظة نسيان الذات التي ينغمس فيها الموضوع في اللغة ليست تضحية بالموضوع

للوجود. إنها ليست لحظة عنف وليست عنفا ضد الذات ، بل مصالحة: تقول اللغة ذاتها نفسها فقط ليس عندما تتحدث كشيء مغترِب عن الموضوع ولكن كصوت الموضوع نفسه." [5]

كان نيتشه مشروعا تجريبيا لذاته، وكانت وسائله كثيرة الشعر والفلسفة والألم والثورة لأن التجريب" لابد له من تجربة عميقة تغذيه وتخرج أدواته، ليخرج عن الانطباعات إلى تطور الرؤى التي تتسم بالسعة والشمول والعمق الفني" [6]

مراجع باتاي لجنون نيتشه والتجربة الداخلية

١. "الجنون حوج من أجل استيعاب الوضع الجديد للرجل العنيف. إنه شرط مسبق لهذا الجديد حالة الوجود، التي هي بالدرجة الأولى الفتنة والرعب، لعدم وجود سبب قادر على استدامتها أو استيعابها أو تحملها." [7]

هذا الرعب الذي فعله نيتشه لا يمكن أن يبتعد عنه مهما كان الثمن، هذا الرعب الذي فعله من فكرة موت الإله، أي التخلي عن الانطولوجي الخارجي، وهذا الانطولوجي الخارجي يوازن بين الرعب والبقاء، فالالحاد النيتشوي ليس معناه العامي بل هو إعطاء الإنسان حيز المطلق. "من خلال إنكارنا لحدود اللامحدود، يؤدي موت الله إلى تجربة لا يمكن فيها لأي شيء أن يعلن مرة أخرى عن خارجية الوجود وبالتالي إلى تجربة داخلية"[8]

و **"التجربة الداخلية"** مفهوم باتاي هو دفع الذات إلى حيز الداخل ومواجهة عري الوجود، الحلقات المفرَغة التي يهرب منها الأغلبية، يُؤسس أصلا لذلك.

وليس الفكر وحده هو الذي يدفع إلى مثل هذه التجربة الداخلية وليست التجربة الداخلية من احتمالاتها فقط الجنون فالألم الجسدي أو النفسي أو السجن كذلك "إن

حقيقة أن الإنسان يمكن أن يُحرم من إمكانياته الخارجية تُقدم إمكانية تجربة داخلية بطريقة أساسية، تجربة ناتجة عن هجر الإنسان لنفسه، دون مساعدة من أي عامل مبهج قادم من الخارج. وبالتالي فإن هذه التجربة ممكنة في سجن أو معسكر - توقعًا للموت أو في ألم جسدي. يمكن أن يكون هذا التعريف وهذه النتيجة الطبيعية بمثابة نقطة انطلاق." [9]

مفهوم المستحيل والتجربة الداخلية

"المستحيل" وهو عند باتاي مربوط بجنون نيتشه ومربوط **"بالتجربة الداخلية"** مفهوم باتاي، ويعني أن المستحيل هو الذي لا يمكن تحقيقه أو فكه وهو أيضا الذي يميز "الاحتمالات" التي يقع فيها الجنون في فضاء" التجربة الداخلية".

وذهب نيتشه إلى المستحيل رغم أن أشكال كثيرة من الإبداع والفن في قدرته " يعمل الفن كحاوية آمنة لمشاعر شديدة للغاية مثل الغضب واليأس والرعب والألم. إنه يوفر الأمان والبعد عن محتوى التجربة من خلال استخدام الاستعارة والرمزية، ولكنه يتيح أيضًا فرصة للتعبير الكامل عن التجربة الصادمة." [10]

١. "وظف باتاي فكرة "عمومية الإنسان" والتي قد يُنظر إليها على أنها تشير إلى الاثنين مجموعة من الناس بالإضافة إلى مجموعة من إمكانات كل منهم على حدة واحد على حدة: "وجودهم بالكامل". [11] التوق للتكون كواحد جامع، المتن الفلسفي الذي يُمكِنه من ذلك والأبعاد الفيزيائية التي تمنع، وجود الممكن القاتل.

المراجع:

١. Living with “Encantados”: Dances of Poet and Scientist Within the Self Emily Abbey and Ana Cecilia Bastos

٢. **Lev Vygotsky (Outstanding Soviet psychologists) p71**

٣. VYGOTSKY'S SOCIOHISTORICAL PSYCHOLOGY AND ITS CONTEMPORARY APPLICATIONS p246 Carl Ratner

٤. Bataille, Georges. 1986b. ‘Nietzsche’s Madness’, October, vol. 36: Georges Bataille: Writings on Laughter, Sacrifce, Nietzsche, Un-Knowing, 42–45. http://www.jstor.org/stable/i231779. Accessed 15 Mar 2010

٥. Adorno in a lecture on lyric poetry and society

٦. سعيد حميد كاظم ٢٠١٦ التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام ٢٠٠٣ ط ١ بغداد
٧. Bataille and Madness p114
٨. Foucault, 1977, p. 32
٩. Cf. Michel Surya, Georges Bataille, trans. Krzysztof Fijalkowski and Michael Richardson, London: Verso, 2002
١٠. (' Portrait of a sex addict' in Sexual Addiction & Compulsivity, 5:4, (1998, p.236
١١. Bataille, Georges. 1986b. 'Nietzsche's Madness', October, vol. 36: Georges Bataille: Writings on Laughter, Sacrifce, Nietzsche, Un-Knowing, 42–45. http://www.jstor.org/stable/i231779. Accessed 15 Mar 2010

معلومات عن الشاعر:

Email: el.elsaied@gmail.om

Phone: +2001007419177

Faebook:
https://www.facebook.com/elsaied.abdelghani.9083

: Youtube

https://www.youtube.com/channel/UCSi7fO-4-gEPIsrZP50acqQ

blogger:

https://elsaiedabdelghani.b/logspot.com

behance:

https://www.behance.net/elsaiedabdelghani

twitter

https://twitter.com/Elsaiedabdelgh1

كتب المؤلف:

https://foulabook.com/ar/author/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%86%D9%8A

أو

https://www.noor-book.com/u/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%86%D9%8A/books

أو

https://archive.org/details/@elsaied_abdelghani

الحوار المتمدن:

https://www.ahewar.org/m.asp?i=10943